أ.د.علي صالح الخلاقي

حملة بن قَمْلا الوَهّابية على حضرموت

القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي

(ما لها وما عليها مع وثائق تاريخية تُنشر للمرة الأولى)



حملة بن قملا الوهَّابية على حضرموت

القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي

(ما لها وما عليها مع وثائق تاريخية تُنشر للمرة للأولى)

أ.د.علي صالح الخلاقي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية – جامعة عدن

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ - الموافق ٢٠٢١م

طبع بمطابع وحدين للأوفست
المكلا- هاتف: 05316615

شكر وعرفان

لا يشكر اللهَ من لا يشكر النَّاس .. ولعل من محاسن الصُّدَفِ أن يقترن صدور هذا الكتاب بتعاون شخصيتين كان لأسلافهما بصمات وحضور في مجريات أحداثه التاريخية، وأخص هنا بالشكر الجزيل وبالغ العرفان والامتنان، صديقي الشيخ **قاسم بن صالح دينيش البكري**، الذي يَسَّر بدعمه طباعة هذا الكتاب بدافع من حبه للتراث والتاريخ والسعي لتوثيقه ونشره للأجيال القادمة. والصديق العزيز الفاضل **ناصر علي محمد الفقيه بن عزالدين** الذي فتح لنا قلبه قبل أن يفتح لنا خزائن الوثائق التاريخية التي لم يبخل في تصويرها، فكانت المحفز الرئيسي لخوض غمار متاعب البحث حتى ظهور هذا العمل، الذي جمع اسميهما، مثلما جمعت الأحداث التاريخية أسلافهما من مشايخ بني بكر آل دينيش، وقضاتها آل عزالدين، ممن كانوا مشاركين فيها أو شهوداً عليها في الحقبة التي تعرضنا لها من تاريخ حضرموت، والمرتبطة بشكل خاص بحملة بن قملا، أو في غيرها من الأحداث التي تفصح عن خفاياها الكثير من الوثائق التي تعرضنا لها في هذا الكتاب أو في أبحاث ودراسات نُشرت أو أخرى في طريقها إلى النشر إذا أمد الله بأعمارنا.

والشكر موصول لصديقي البروفيسور **عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي**، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة حضرموت،رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر على تكرمه بتقديم هذا الكتاب.

والله ولي التوفيق،،،

المــؤلــف

تقديم

أ.د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر–جامعة حصرموت

رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

يسعفنا هذا الكتاب الوثائقي لسدِّ فجوات من تاريخ حضرموت الحديث، ولاسيما أخبار ما يعرف في الأدبيات الحضرمية (بحملة بن قملا)؛ إذ كان تناول المصادر الحضرمية لأخبار هذه الحملات الوهابية عابرًا كعبور هذه الحملات في مجرى التاريخ الحضرمي، وعادة يواجه المؤرخون أمام شحة المصادر التاريخية مصاعب كثيرة وهم يحاولون ربط حلقات التاريخ والتقريب بينها إلى أن تظهر على السطح أصول تاريخية جديدة تسهم في كشف الغامض، وتساعد على تكملة الناقص.

وتكمن أهمية الكتاب في اعتماده على وثائق تنشر لأول مرة، وهو بهذا يقدم مادة أصيلة عن هذه الحملات التي عصفت بحضرموت في بداية القرن الثالث عشر الهجري. تجدر الإشارة إلى أنَّ بعض هذه الوثائق قد تقدَّم بها مؤلف الكتاب للمشاركة في المؤتمر العلمي الرابع (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين)، الذي نظَّمه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في ديسمبر ٢٠١٩م، مع بحث آخر تم اختياره للمؤتمر لأن الباحث أحمد صالح الرباكي تقدم ببحث للمؤتمر نفسه عن هذا الموضوع مستفيدا من بعض الوثائق نفسها، وهذا التزامن في التناول غير المقصود لا يفسد للبحث العلمي قضية، فمن جهة كان لكل منهما زاوية نظره

الخاصة (ولكل مجتهد نصيب)، ومن جهة أخرى فإن دراسة أي وثيقة تاريخية أو نشرها لا يعني الحق الحصري لهذه الجهة أو تلك، بل إنَّ الهدف من ذلك شيوع الفائدة العامة، وحتى تكون الوثائق متاحة للقراءات المتجدِّدة لكشف أبعادها ودلالاتها المتنوعة.

وقد عثر المؤلف على معظم وثائق الكتاب –كما أشار في التمهيد – في منطقة يافع ضمن أرشيف نائب الشرع الفقيه عبد الحبيب بن أحمد حيدر عز الدين البكري، ولا غرو في ذلك فقد كانت الكثير من الحواضر الحضرمية التي تركزت فيها حملات بن قملا تحت حكم بعض القبائل اليافعية، ولهذا راسل (بن قملا) الحكام المحليين من آل كثير ويافع للعمل بمقتضيات (الاجتهاد الوهابي) المشار إلى بعضه في متن هذا الكتاب. وتفتح هذه الوثائق بإشارتها غير المباشرة مجالًا للتوسع في قضايا تاريخية متنوعة، منها كُنْهُ التحالفات بين سادة حضرموت ومشايخها مع المكونات القبلية، والمسائل المتعلقة بالشخصية الحضرمية، ومدى النفوذ اليافعي في حضرموت، وغيرها من المسائل.

وهذا التاريخ المشترك بين يافع وحضرموت ربما يثير القارئ لمعرفة تفاصيله، وهي مذكورة في الكثير من الملفات، لكننا نجد من المناسب الإشارة بخطوط عامة إلى التداخل التاريخي في العلاقات بين يافع وحضرموت؛ وذلك بتقسيمها إلى ثلاث مراحل رئيسة: الأولى مرحلة الجندية (العسكرة)؛ عندما كانوا ضمن قوام قوات السلطنة الكثيرية، وهم هنا يظهرون بوصفهم قوات مساعدة لحماية المدن والبلدات الحضرمية، والمرحلة الثانية – الأطول زمنيًا – هي مرحلة السلطة أو التسلط اليافعي؛ عندما تمكنوا من تأسيس الإمارات والسلطات، وهذه الوضعية لم تدخلهم في علاقات عداء مع القوى القبلية، والسياسية الحضرمية المنافسة لهم فحسب، بل صاروا بمرور الزمن طبقة حاكمة، وطرفًا عصبويًّا رهن وجوده بالتماسك القبلي اليافعي، وعزز من هذا المنحى ديمومة الهجرة اليافعية إلى حضرموت، التي أدت إلى تأجيل اندماجهم في المجتمع الحضرمي، بعكس

غيرهم من الجماعات والأسر الوافدة التي استقرت دفعة واحدة في حضرموت، والذين لم يمارسوا الفعل السياسي وتبعاته.

أما المرحلة الثالثة؛ فشهدت نهاية وضعهم بوصفهم طبقة حاكمة، وجاء ذلك بعد سقوط السلطنة القعيطية (السلمي) عام ١٩٦٧م، ففي إثر ذلك التحموا تدريجيًّا في نسيج المجتمع الحضرمي خاصة أنهم لم يتورطوا في أي مواجهات بدافع قبلي عند حدوث التحولات الثورية في حضرموت والجنوب في تلك المرحلة المشحونة بالحلم القومي العروبي، والموضوع ذو شجون، ومتشعب الأبعاد، ونكتفي بهذه الإشارة.

وبالعودة إلى موضوع الكتاب نجد أن العنوان (حملة بن قملا) يتماهى مع المسمَّى لهذه الحملات في المؤلفات الحضرمية، وهو أكثر دقة من مصطلح الغزو أو الاجتياح والحملات (الوهابية)؛ بوصفها حركة إسلامية تصحيحية، امتزجت فيها التطلعات السياسية مع مشروع الإصلاح الديني حتى وصلت إلى مناطق كثيرة من أصقاع الجزيرة العربية وفي بداياتها نالت تأييدًا وتعاطفًا كبيرين، وبالنسبة لحملة بن قملا على حضرموت كان الهدف الديني الإصلاحي هو العنوان الرئيس لها، ولم تكن حضرموت ضمن التطلعات السعودية السياسية قريبة المدى وفي دواخل الكتاب وضّح المؤلف البعد الاقتصادي لهذه الحملات، ليس فقط من خلال الأموال التي فرضوها ليرتفعوا عن بعض المناطق التي دخلوها عنوة، بل من خلال التشكيل القبلي اليمني لهذه الحملات، والذين وجدوا في الموجة الإصلاحية العاتية في شرق الجزيرة العربية فرصة للرزق تحت غطاء هذا الخطاب الديني الحاد، الذي قسم المؤمنين إلى مسلمين ومشركين، ومع ما يتسم به هذا الطرح من غلو، فإنَّ الحضارمة ركنوا في غالب الأحيان إلى الأسلوب المرن في التعامل معهم ومع ما يقومون به من تهديم للقبور والقباب مما أتاح لهم فرصة للانتظار حتى تهدأ العاصفة.

وبنهاية الحملات الوهابية على حضرموت عادت الأمور فيها إلى سيرتها الأولى، لكنها أحدثت صدمة في ثوابت المجتمع الحضرمي، ترحلت صداها في الثقافة المحلية والشفاهية، وصار (بن قملا) يرمز فيها للغزاة والطامعين، ثم استقرت بعض خبايا القصة في دواخل الوثائق وطيَّاتها إلى أن جاءت (حملة الخلاقي) التاريخية العلمية فأعاد إحياءها في ثوب جديد لنستلهم منها الحكمة وتدلنا على جادة الطريق.

إن التحريك الجغرافي الموجه للمذاهب الإسلامية والذي يتزامن أو يتقدم على التطلعات السياسية، مثل ظاهرة مؤلمة في التاريخ الإسلامي وصبغ العالم الإسلامي بصبغة الصراع والتناحر المزمن، فأنهكت الدول، وتشتت جهدها، وصارت لقمة سائغة للغزاة عبر العصور، فما أحوجنا اليوم إلى قراءة عقلانية للتاريخ، وإلى خطاب إسلامي يساعد على تمتين العرى، ويحترم الاختلاف، بعيدًا عن ثقافة الاستقواء والهيمنة، التي لا تنتج إلا الصراع والمآسي والضعف والتفكك!

ومؤلِّف الكتاب البروفيسور علي صالح الخلاقي غنيٌّ عن التعريف، وله عشرات المؤلفات التاريخية الرصينة، وخاصة ما يتعلق بالتراث اليافعي، وعلى صعيد العلاقة الشخصية البينية، وفي بعض محاولاته الشعرية يظهر محبته لحضرموت وأهلها، ويبدو أن هذا الشعور الصادق كان حافزًا ليُعِدَّ عُدَّتَه ويجهز حملته العلمية ويتحفنا بهذا الكتاب الوثائقي، الذي جرت أحداثه في حضرموت، واحتفظت يافع بأسرارها لحين من الدهر، وها هو يبوح ببعضها، وبقي أن نستمع إليه، ونشد الرحال معه.

المكلا ٣- يونيو ٢٠٢١م

حملة بن قَمْلا الوَهَّابية على حضرموت

القرن ١٣هـ/١٩م

توطئة:

كانت بداية الدعوة الوهابية في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري على يد الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب المولود بالدرعيّة، (سنة١١١٥هـ/١٧٠٣م– والمتوفّى سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م)، ومُحَمَّد بن سعود (سنة ١١٠٨هـ/١٦٩٧– والمتوفي سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٥م)، مؤسس الدولة السعودية الأولى، وأساسها الدعوة للتوحيد ومحاربة البدع والاعتقاد بالأولياء والصالحين أو التبرك بهم أو طلب العون منهم أو تقديم القرابين لهم واعتبار جميع أنواع العبادات والمعتقدات التي تتعارض مع مبادئ التوحيد شركاً. وقد خاضت الحركة حروباً أَسموها بالغزوات لنشر الدعوة في أرجاء واسعة من الجزيرة العربية حتى وصلت إلى دمشق وعُمان واليمن وحضرموت، وفي النهاية نتج عن هذه الحروب قيام الدولة السعودية الأولى، التي تم القضاء عليها سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م حينما حاصرت القوات العثمانية بقيادة إبراهيم باشا ابن والي الدولة العثمانية بمصر مُحَمَّد علي باشا الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى ودمرتها فيما عرف بالحرب السعودية العثمانية.

في البدء يجب القول أن "الوهابية" مُصطلح يُطلق على أتباع حركة الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب، واصطلح المؤرّخون على تسميتهم بالوهّابيّة نسبة لوالد شيخهم، وقد

ترسخت هذه التسمية في كثير من المؤلفات العربية والأجنبية، أما أتباعها فيُفضلون تسمية أنفسهم بالتوحيديين أو المسلمين فقط. ومع ذلك فإن "الوهابيين" لم يستنكفوا هذا الاسم أو يرفضوه، فالشيخ سليمان بن سحمان (الملقب بـ"حسّان" الدعوة السلفية نسبة إلى حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ) يقول في أبيات مشهورة:

نعم نحنُ وهَّابيّة سلفيّة حنيفية نسقي لمن غاضنا المُرَّا
ومن هاضنا أو غاضنا بمغيضةٍ سنَصعقه صعقاً ونكسره كَسْرا
بمحكم آياتٍ وسنة أحمد نصول على الأعداء ونأطُرهم أَطْرَا

ولابن سمحان –نفسه– كتابٌ مشهور بعنوان"الهديّة السنيِّة في التحفة الوهابية النجدية". ونلاحظ الاتجاه نفسه في مؤلفات الشيخ عبدالله القصيمي الأولى، قبل تمرده، في الرد على خصوم الوهابية في مضمون وعنوان كتابه"الثورة الوهابية" الذي صدر عام ١٩٣١م و كتابه "الفصل الحاسم بين الوهابيين وخصومهم" الصادر عام ١٩٣٤م. وهذا يعني أن مصطلح "الوهابية" كان رائجاً من دون أن يُستخدم –فقط– للإساءة والتشويه، خصوصاً في بدايات الدعوة، حتى تم استبداله –فيما بعد– بمصطلح "السلفية"، وكان بعض "الوهابيين" يطلقونه على أنفسهم من دون غضاضة، كالشيخ سليمان الدخيل والشيخ مُحَّد بن عبداللطيف، وفي رسالة جامعية عن جامعة الإمام مُحَّد بن سعود عنوانها "دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ مُحَّد بن عبدالوهاب– الجزء الأول ص٣٦٢" لم يتحسس الشيخ عبدالعزيز بن باز من استخدام المصطلح بل إنه قال في مجموع فتاواه (الجزء الأول، ص٢٣٣) :" عقيدة الوهابية هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله"[(١)].

وفي المؤلفات الحضرمية هناك شبه إجماع على وصف حملة بن قَمْلا بـ"الوهابية"، ولهذا سأصفها بمصطلح الوهابية المتعارف عليه والذي لا يتعارض مع نسبتها إلى صاحب

[١] - السعودية البديلة-ملامح الدولة الرابعة، أحمد عدنان، التنوير -بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص١٢٩-١٣٠. انظر أيضاً: عبدالله القصيمي التمرد على السلفية، يورغن فازلا، ترجمة: محمد كبيبو، ص ٥٥.

الدعوة محمَّد بن عبدالوهاب، سواء من قبل خصومها أم المدافعين عنها،كما جرت العادة بتسمية الحركات والدعوات والمذاهب بأسماء مؤسسيها: الحنفي الشافعي، الحنبلي، المالكي، بل وحتى أسماء الدول كما هو حال المملكة العربية السعودية. واتفق مع من يرى بأن تسميتها بالوهابية من قبل أهلها يقطع الطريق على أولئك الذين ينعتونها بهذا اللقب كمذمة لها، فإذا استعمل هذا اللقب من قبل أهلها، وأصبحوا يتنادون به انتفت سمة المَسَبَّة من جراء هذا اللقب[١].

ولانعدام التوثيق ليوميات أو مراحل أو أحداث حملة بن قملا الوهابية التي وصلت إلى بلاد حضرموت القصية في جنوب الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي بهدف مُعلن هو محاربة البدع وهدم القباب وتسوية القبور ونشر الدعوة السلفية التوحيدية، فقد اختلفت الروايات وتضاربت الأقوال حولها وحول اسم قائدها وكنيته ومراحلها وسنوات قدومها وفترة مكوثها ونتائجها ومواقف الحضارم منها، ولا نجد في المؤلفات المنشورة سوى شذرات هنا وهناك تتعرض لها ضمن الحديث عن أحداث تلك الحقبة الزمنية من تاريخ حضرموت. ولم يصدر حتى الآن مؤلف أو بحث مخصص للحديث عن تلك الحملة بما لها وما عليها.

مصادر البحث

ما حفَّزنا لتخصيص هذا البحث عن هذه الحملة، سببان، الأول: عدم وجود دراسة مخصصة عن هذه الحملة حتى الآن، وما ورد عنها هو مجرد شذرات شحيحة في مؤلفات قليلة. وثانياً: حصولنا على أربع وعشرين من الوثائق التاريخية الهامة تعود إلى تلك الفترة لم تُنشر من قبل، منها أربع رسائل، لحسن الحظ، باسم قائد الحملة نفسه وختمه الخاص، الأمر الذي يكشف عن بعض جوانب الغموض حول تلك الحملة واسم قائدها وأهدافها

[١] - السعودية الدولة والمجتمع- محددات تكوين الكيان السعودي، د.محمد بن صنيتان، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣٣.

وما خلفته من نتائج وآثار.

وفضلاً عن رسائل بن قملا، لدينا أيضاً عشرون رسالة مختلفة منها رسالة هامة من منصب عينات الشيخ أحمد بن سالم بن أحمد بن الشيخ أبي بكر تكشف ما جرى له ولعينات من قبل جيش بن قملا، ورسائل من حاكم الإمارة الكسادية النقيب عبدالرب بن صلاح، ومن أخيه النقيب عبدالحبيب، ومن رجالات الدولة الكسادية والبريكية ومن شخصيات هامة يافعية وحضرمية لها ثقلها ودورها في أحداث تلك الفترة، وهذه الرسائل تختلف من حيث أهميتها ومقدار ما ورد فيها من أخبار وتفاصيل، لكنها ذات صلة بأخبار بن قَمْلا والوهابية والصراع مع الأتراك العثمانيين وواليهم في مصر حتى سقوط الدرعية معقل الدعوة والتي سقطت بسقوطها الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هجرية، والرسائل هي حسب تسلسها في ملحق الوثائق، على النحو التالي:

١- رسالة من ناجي بن مُحَمَّد بن قملا إلى عامر بن مُنيف، وعبدالله بن سلطان، وأحمد ابن بشير، وكافّة روضان، وحسن بن كثيرٍ، وسلمان بن سعيد، وسعيد بن نهيد، وعامر بن سلمان، وحسن بن عبِريّ، وحويل بن سعيد، وكافّة المقاديم، وعُمر بن علي بلبقَرِي، وكافَّة نَهد[1].

٢- رسالة من خشامر من ناجي ابن مُحَمَّد ابن جابر بن قملا إلى السلطان جعفر بن محسن ومُحَمَّد بن محسن والشيخ غالب بن عبدالله وصالح وعبدالحبيب بن أحمد حيدر وكافة رُتبة سيئون الشيخ علي والضُبَيّ وبني بكر.

٣- رسالة من خشامر من ناجي بن مُحَمَّد بن قملا إلى جعفر بن مُحَمَّد وعن جعفر وغالب وعبدالله بن الشيخ علي وكافة رُتبة سيئون.

[1] - هذه الرسالة نُشرت في موقع الحكم النهدي وأرسل لي صورة لها مشكوراً الأخ صلاح عبدالله لحمدي القعيطي يوم ١٨ديسمبر٢٠١٩م. أما بقية رسائل بن قملا الثلاث مع بقية المراسلات الأخرى فهي من محفوظات الأخ ناصر علي محمد الفقيه بن عزالدين البكري الذي يحتفظ بأصولها في أرشيف أسرتهم.

٤- رسالة من خشامر من ناجي مُحَمَّد بن قملا وعبدالحبيب قاسم بن علي جابر إلى السلطان جعفر بن محسن وغالب بن عبدالله هرهرة وعبدالله أحمد حيدر عزالدين، وإلى كافة رُتبة سيئون.

٥- رسالة من لحج، من عبدالحبيب بن صالح حسين الشعموطي، محررة سلخ شهر الحجة سنة ١٢٢٤هجرية أرسلها إلى بني بكر إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر.

٦- رسالة من عبدالله أحمد حيدر وعبدالحبيب بن صالح مُحَمَّد من بلد سيئون إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر وآخر (تلف في الاسم)، محررة نصف شعبان١٢٢٥هـ.

٧- رسالة من علي سعيد ناصر من سيئون، إلى عبدالحبيب أحمد حيدر عزالدين ووالده سعيد ناصر وأخيه سنة ١٢٢٦هـ.

٨- رسالة من سيئون من عبدالله بن أحمد حيدر البكري من سيئون إلى أخيه الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر.

٩- رسالة من المكلا، من النقيب عبدالحبيب ابن صلاح ابن سالم بن احمد بن محجم الكسادي من عاصمة الدولة الكسادية إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري، محررة يوم الأحد ١٢ من شهر رجب الأحب سنة ١٢٢٨هـ.

١٠- رسالة من عبدالله بن يحيى حسين هرهرة مرسلة، من بندر الشحر، إلى الولد علي بن ناصر بن يحيى بن ناصر هرهرة، والصنو عبدالحبيب بن الوالد أحمد بن حيدر السنيدي.

١١- رسالة من مطهر بن أبوبكر هرهرة، من بندر المكلا، إلى القاضي عبدالحبيب بن احمد حيدر.

١٢- رسالة من بندر المكلا، من علي بن ناصر بن يحيى بن الشيخ علي هرهرة والفقيه عبدالحبيب ابن أحمد حيدر إلى الحبيب شيخ بن عبدالله بن أحمد آل الشيخ أبي بكر بن سالم والسلطان عبدالله بن يحيى بن حسين ابن الشيخ علي هرهرة.

١٣- رسالة من غالب بن عبدالله بن صالح يحيى هرهرة، من الشحر، إلى بني بكر، إلى الفقيه عبدالحبيب أحمد حيدر وعبدالحبيب حسين الشرفي وعبدموسى علي سنيد.

١٤- رسالة من منصب عِيْنَات أحمد بن سالم بن أحمد مرسلة إلى بندر المكلا إلى المشايخ: على بن الشيخ ناصر يحيى، وطاهر بن الشيخ عمر، وصالح بن الشيخ محسن بن الشيخ علي هرهرة والفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر وسالم بن عوض السا....، وهادي شجاع وصالح دينيش وبوبكر الحطيبي وحسين أحمد وكافة يافع بالمكلا.

١٥- رسالة من الشحر، من عبدالقوي بن صالح علي ناجي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر عزالدين، والشيخ علي عوض دينيش.

١٦- رسالة من المكلا، من عبدالرب صلاح بن سالم أحمد الكسادي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري

١٧- رسالة من المكلا، من عبدالمطلوب بن سالم إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري

١٨- رسالة بتوقيع مع الختم إلى عبدالحبيب بن أحمد حيدر بن عزالدين

١٩- رسالة من المكلا، من عبدالرب صلاح بن سالم أحمد الكسادي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري، سنة ١٢٢٨هـ

٢٠- رسالة من عبدالله بوبك صالح إلى القاضي عبدالحبيب بن أحمد حيدر عزالدين

٢١- رسالة من المكلا، من عبدالحبيب بن صلاح بن سالم بن احمد بن محجم الكسادي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري

٢٢- رسالة من المكلا، من عبدالرب صلاح بن سالم أحمد الكسادي إلى الشيخ عبدالنبي بن عوض دينيش والفقيه عبدالحبيب أحمد حيدر البكري.

٢٣- رسالة من المكلا، من عبدالحبيب بن صلاح بن سالم بن حمد بن محجم الكسادي إلى عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري

٢٤- رسالة من الفقيه أحمد علي بن سعيد علي عمر عزالدين إلى الوالد أحمد حيدر والصنو حيدر بن علي سعيد علي حيدر عز الدين

ويلزمنا الوفاء والعرفان بالجميل أن نتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان للأخ الفاضل ناصر علي مُحَمَّد الفقيه بن عزالدين البكري لما أبداه من تعاون لا يُقَدَّر بثمن، ينم عن وعيه وإدراكه لأهمية ما يزخر به أرشيف أسلافه قضاة وفقهاء يافع آل عزالدين البكري، ومبادرته غير المسبوقة في كسر الجمود والتحفظ على الوثائق غير المبرر بإخراج هذه الكنوز النفيسة من محابسها وأقفاصها لترى النور، لتكون في متناول الباحثين وتحتل مكانتها بين مثيلاتها من الوثائق التاريخية التي تكشف خفايا وأسرار وأحداث مجهولة من تاريخنا المعاصر والحديث.

فقد سمح لنا مشكوراً بتصوير وثائق ومراسلات كثيرة خاصة بأحداث تاريخية تعود إلى زمن جدِّه نائب الشرع الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر عزالدين البكري، الذي نجد أن ٢٠ من هذه الوثائق ذات صلة به إما مُخَاطباً في معظمها أو مُرسِلاً، سواء بمفرده أو مع غيره، وهذا لوحده كافٍ لمعرفة عظيم مكانته وتأثيره على مجمل الأحداث وصلته المتداخلة مع أطراف الصراع المختلفة التي يتعرض لها الكتاب. فقد مثل شخصية محورية في عصره، ومرجعية دينية واجتماعية، بما كان له من تأثير كبير على مجريات الأحداث وارتباطات وثيقة وعلاقات واسعة ومؤثرة تشمل مساحة زمنية كبيرة وجغرافية واسعه تمتد من يافع إلى حضرموت، وبلغ تأثيرها وحضورها إلى عُمان ورأس الخيمة والشارقة والهند، فقد كانت له

مكانة خاصة ومميزة لدى سادة عِيْنَات ولدى أمراء وحكام الدولة الكسادية والإمارة البريكية والسلطنة الكثيرية، ثم علاقته بقائد حملة بن قملا، وتمكن بدهائه وحنكته من الجمع بين متناقضات هذه الكيانات في علاقاته المميزة وكلمته المسموعة لدى الجميع.

وأعترف بأنه لولا الحصول على هذه الوثائق التاريخية لما أنجزت هذا الكتاب الجديد والهام في موضوعه، ويكفي القول إنَّه باستثناء وثيقة واحدة فقط، فإن ٢٣وثيقة هي من محفوظات الأخ ناصر مما يزخر به أرشيف أسلافه قضاة وفقهاء يافع آل عزالدين البكري من وثائق هامة وثمينة حفظتها لنا خزائن أسلافه من الضياع.

وبغية الاستفادة القصوى من هذه الوثائق، التي قادتني إلى هذا الموضوع غير المطروق من قبل، كان لا بد لي من مقارنتها بما جاء في المصادر والمراجع المنشورة، ولذلك تتبعت ما نُشر عن حملة بن قملا في العديد من المصادر والمؤلفات المتاحة، رغم قلّتها، وكثرة ما تتصف به من تباين في التعرض لتاريخ الحملة بمراحلها المتعددة واسم قائدها، وقد حرصت على عرض وتحليل كل ما نُشر من كتابات مؤيدة أو معادية لتلك الحملة بموضوعية، ونشر وتحليل رسائل قائدها، وكذلك نشر وشرح رسالة صاحب عينات وغيرها من الرسائل الهامة التي تعرضّت لها في سياق البحث.

ونأمل أن تكون هذه المبادرة غير المسبوقة محفزة ومشجعة للآخرين لتقديم ما لديهم من وثائق ذات صلة بتاريخنا العام، لا سيما وأن هذه الوثائق، رغم أنها في معظمها رسائل شخصية، لكنها تمثل بالنسبة لتاريخنا المفقود وغير المدون ثروة نفيسة لما تحتويه من معلومات اجتماعية واقتصادية وتاريخية ولغوية..الخ لا غنى للباحث عنها، ومن المهم أن تكون في متناول الباحثين لتحتل مكانتها بين مثيلاتها من الوثائق التاريخية التي تميط اللثام عن أحداث ووقائع مجهولة من تاريخنا المعاصر والحديث. وننصح من يخشى ضياع وثائقه أن يكتفي بتصويرها ضوئياً فقط دون التفريط بها أو تسليم أصولها.

المبحث الأول

حملة بن قملا..أسبابها ومراحلها

من هو بن قمْلا؟!

هو أحد رؤساء قبيلة دهم اليمانية، وهي قبيلة كبيرة تتفرع من قبائل شاكر أحد بطون بكيل الهمدانية[١]. وكان مرشداً للجيش الوهابي في توجيهه إلى حضرموت، في عهد السلطان الكثيري علي بن عمر بن جعفر بن بدر[٢]، ولعل اختياره جاء لإخلاصه وولائه للدعوة، وربما أيضاً لمعرفته المسبقة بالبلاد الحضرمية أو صلته ببعض رموز الدعوة الحضارم ممن سبق له التعرف عليهم، كآل علي جابر في خشامر، بدليل وصوله إليهم مباشرة واتخاذ منطقتهم نقطة انطلاق لحملاته وتحركاته وبتخطيط وتنسيق معهم.

وقد عُرفت تلك الحملة العسكرية بحملة (ابن قَمْلا) نسبة إلى لقب قائدها الذي تضاربت المصادر والمراجع المكتوبة حول اسمه الصحيح والكامل ولقبه. فالبعض أورد اسمه الأول ولقبه (ناجي بن قَمْلا)، فيما اكتفى البعض بلقبه (بن قَمْلا) وكتبه البعض"بن قملة[٣]"[بقلب الألف هاءً]. ويذكر ابن عبيد الله السقاف اسماً آخر لقائد الحملة هو

١ - انظر: معجم القبائل والبلدان اليمنية، إبراهيم أحمد المقحفي، دار الكلمة، صنعاء،٢٠٠٢م، ص٦٢٧.

٢ - المختصر في تاريخ حضرموت، محمد عبدالقادر بامطرف، دار حضرموت للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠١م،ص٩١.

٣ - انظر: صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت، محاضرة للعلامة المؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه، وتعليقات موسوعية: للعلامة المؤرخ علوي بن طاهر الحداد، تحقيق وتقديم: مصطفى بن عبدالرحمن بن عبدالله العطاس، دار تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص٨٩. وكذا : معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت. السيد عبدالرحمن بن عُبيد الله السقاف، تحقيق:إبراهيم أحمد المقحفي، عبدالرحمن حسن السقاف، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م.ص٧٦. وكذا: على حافة امبراطورية- حضرموت، الهجرة والمحيط الهندي (١٨٨٠-١٩٣٠). تأليف: د.ليندا بوكسبيرجر، ترجمة:أ.مصطفى زين العيدروس، مراجعة وتقديم:د.عبدالله عبدالرحمن بكير. ط١، ٢٠١٩م، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، صنعاء.ص١٧٨.

الأمير علي بن قَمْلا [١]وأخيه ناجي، ولعله اسم لأحد أخوته أو من أسرته (آل بن قملا)، ولا نستبعد أن يكون ضمن قادة الحملة مع قائدها ناجي بن مُحَّد آل قملا التي يرجح أنها ضمت بعض أخوته ومقرَّبيه. ويذكر أن قائد الحملة هو ناجي بن مُحَّد بن مشاري(والصحيح بن قَمْلا)، ويساعده أحمد بن سالم بن قملة (أي قملا) وعليوي بن حصين[٢]، ويسميه البعض (ناجي بن مُحَّد معشاري)[٣]، ويطلق عليه آخرون "هدهد بن قملا"[٤]، أما بامطرف فيسميه الأمير المقدم عبدالله بن شاري ابن قملة الدهمي الذي اتخذه الوهابيون مرشداً لجيشهم الذي غزا حضرموت في الفترة بين ١٢١٨–١٢٢٤هـ[٥]، ويذكُر أن جيشه هم من مهدوا الطريق المعروفة بدرب الأمير (نسبة إليه) الواقعة في منطقتي قبيلتي الصيعر ودُهُم في أطراف الصحراء[٦].

والصحيح أن اسمه الكامل ناجي بن مُحَّد بن جابر بن قَمْلا، كما يظهر كاملا في إحدى رسائله وكذا في ختمه الشخصي الذي خَتَمَ به رسائله الأربع التي وصلت إلينا وننشرها لأول مرة، والختم مصنوع سنة ١٢١٢هـ، كما يظهر تاريخه بوضوح في وسط قالبه، وهذا يعني أنه أصبح ذا شأن في ذلك التاريخ.

وهكذا تضع هذه الوثائق التاريخية حداً للاضطراب والتناقض الذي ساد لزمن طويل، وتميط اللثام عن الاسم الكامل لقائد الحملة الوهابية إلى حضرموت، المعروفة بـ"حملة بن قملا". كما تُقدِّم لنا حقائق ومعلومات جديدة ظلت مجهولة عن قائد الحملة وصلاته

---

[١] - معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص٥٤٠.
[٢] - حضرموت وعلاقتها بنجد، عبدالله أحمد الناخبي، مجلة العرب، تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ج٥،٦ س ٢٧، (مايو-يونيو١٩٩٢م)، ص ٣٨٧.
[٣] - الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف حضرموت، عوض مبارك سليمان بامؤمن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠م،ص٦٦.
[٤] - عادات وتقاليد حضرموت الغربية، م.أ. رودينوف، ترجمة:د.علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٢م، ص٧٠.
[٥] - ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت، تأليف:محمد عبدالقادر بامطرف، تحقيق ومراجعة: د.حسن صالح الغلام العمودي، دار حضرموت للدراسات والنشر، ط٢، ٢٠١١م، ص٣٧.
[٦] - المختصر في تاريخ حضرموت، ص٩٢.

بالشخصيات الحضرمية التي خاطبها في رسائله وبعض من خفايا حملته. ومع ذلك فأننا لا نعرف إلاّ لماماً عن سيرة حياته قبل قدومه إلى حضرموت، وجُلّ ما نعرفه عنه أنه ينتمي إلى قبيلة دهم اليمنية وارتباط اسمه بالحملة الوهابية التي قادها إلى حضرموت، أما نهايته فتفيدنا إحدى الرسائل التي بين أيدينا أنه "قُتِلَ في الجوف" دون أن تذكر سبب أو سَنَة مقتله[١]، لكن الواضح أنه قُتل –إذا صح مقتله– بعد انتهاء حملته على حضرموت.

وتذكر رسالة تعود لسنة ١٢٢٦هـ [٢] أن ناجي بن قملا نَفَذَ إلى الدرعية بعد رجوعه من الشحر وانقطعت أخباره (ولا عاد ظهر منه لا صدق ولا كذب). ولكن قِيْلَ: إن المشاعل ارتفعت على بيوت خشامر في ١٩ رمضان من تلك السنة لوصول أخبار تفيد أنه بخير، وهناك من يقول أنه شاهده هو وسعود، وآخر يقول أنه في الطريق مع ابن سعود بأربعة ألف مقاتل، ويعلم الله.

شخصية بن قملا في ضوء رسائله

لم يترك بن قملاً أثراً كتابياً أو خُطُباً أو مواعظ خاصة به تدل على تفقُّهه بأمور الدِّين، حتى نتعرف أكثر على خفايا شخصيته وعلمه وقوة حجته. وجُلّ ما وصل إلينا هي أربع رسائل فقط من مراسلاته المختلفة، وهي بالطبع ليست كل رسائله، فمن دون شك أن له مراسلات أخرى غيرها نجهلها، وقد تكشف لنا الأيام عنها أو بعضها، مثلما كشفت عن الرسائل التي بين أيدينا بالصدفة.

وفي ضوء رسائله هذه يمكننا أن نستشف بعضاً من ملامح شخصيته وطريقة تفكيره وتعامله مع الأحداث حوله. فنجد أنه شخصية عادية، غير متبحرة بشئون الدِّين، ومعارفه بسيطة ومحدودة، بل يبدو لنا أشبه بشيوخ القبائل وليس كقائد عسكري أو ديني للحملة،

---

[١] - انظر وثيقة رقم (١٨).
[٢] - انظر وثيقة رقم (٨).

ولا غرابة في ذلك فهو أحد رؤساء قبيلة دهم، وليس من شيوخ الدعوة الضليعين بها أو الخطباء المفوهين والمؤثرين، ولكنه من المتشددين لها، بدليل ضعف مضمون وحجة رسائله وكثرة الأخطاء اللغوية والاملائية فيها، بما في ذلك حتى بما أورد من شواهد قرآنية، وهي لا ترقى إلى مستوى رسائل رجال الدعوة، ولا نجد نظيراً لها لدى رجالات الدِّين، فقد كُتبت بلهجة حضرمية قُحَّة وبخطوط مختلفة، الأمر الذي يرجِّح فرضية أنه ليس كاتبها، ولا ندري هل كان يجيد القراءة والكتابة، لكن الثابت أنه استعان بأكثر من شخص ممن كتبوا له رسائله، واكتفى هو بختمها فقط بختمه الذي يحمله معه، دون حتى أن يكتب توقيعه عليها جميعها، ونعتقد أنه لو كان يجيد القراءة والكتابة لأعتمد على نفسه وسَطَرها بخطه الذي لن يختلف شكله في كل رسائله، ولكتبها بلغة عربية فصيحة، وليس بلهجة أهل البلاد ولما احتاج لمن يكتب له، خاصة وأنه على رأس الحملة وقائدها العسكري والديني. والأرجح أنه استعان بآخرين من أنصاره، وتحديداً من آل علي بن جابر، لكونها صدرت من خشامر، مركز انطلاقته، وبكونهم من الملمين بالدعوة ويعرفون أسماء الأشخاص الموجهة إليهم وأسماء الأماكن الواردة في الرسالة.

ويتضح لمن يمعن في الرسائل من الوهلة الأولى اختلاف الخط الذي سَطَرَ هذه الرسائل، فعلى سبيل المثال، نجده في إحداها يكتب (السلطان) بالسين وفي أخرى (الصُّلطان) بالصاد، أو إهمال (ال) الشمسية في بعض الكلمات وغير ذلك مما وضعناه بين معكوفتين في نصوص الرسائل. كذلك يتضح من صيغة رسالة أخرى أن شخصاً آخر كتبها ثم وقعها ناجي بن قملا بختمه، بدليل حديثه عن نفسه في معرض رسالته وكأنه يتحدث عن شخص آخر حينما يخاطب من وجه إليهم رسالته بلهجة حضرمية بقوله:" إنّما سعود الله يحفظه مخلِّي ابن قملا والقاضي سبيت في حضرموت والاثنين مصفِّين حضرموت والأمور إن شاء الله زينه، وأنتم لا يقطعنا كتابكم".

ومع ذلك فأن رسائله، على ركاكة خطها وكثرة الأخطاء الإملائية فيها، لا تخرج عن مبادئ الدعوة الوهابية وتشددها في معاملة خصومها. وللوقوف على شخصيته والتعرف عليها أكثر، نقدم نصوص رسائله مع الشرح، ونشير إلى أنها جميعها بدون تاريخ، وتناولنا لها هنا ليس له صلة بأولويتها الزمنية وإنما التقريبية فقط لأن إطارها الزمني معروف ومتقارب وينحصر بين سنة بداية الحملة ونهايتها، وهي فترة لا تتجاوز العقد من الزمن.

نص الوثيقة رقم(١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السّلام من **ناجي بن محمد بن قملا** إلى الخوان [الإخوان] عامر بن منيف، وعبد الله بن سلطان، وأحمد ابن بشير، وكافت [كافّة] روضان، وحسن بن كثير، وسلمان بن سعيد، وسعيد بن نهيد، وعامر بن سلمان، وحسن بن عبريّ، وحويل بن سعيد، وكافت [كافّة] المقاديم، وعمر بن علي بلبقري، وكافت [كافّة] نهد، وإلى من يراه من المسلمين حماهم الله من النّار، وجميع المسلمين.

صدرت من خشامر والأعلام سارّةٌ، الذي نعرّفكم به أنه وصلنا الشّيخ سالم بن أحمد باوزير وما هو عندنا عليه وعلى من هو في وادي العين من الباوزير [آل باوزير]، ومن هو متعلّق بهم من حلانهم من خلا القبائل، فقد أنتم تعرفون المسلمين. وكذلك أنّ قرية السّفيل من دخلها من المسلمين فلا عليه تعدّي من المشركة، ومن دخلها من المشركة فلا عليه تعدّي من المسلمينَ، ولا حد يقتربنها من المسلمين إلى خذ شي حيث قدكم عالمين الحال، ولا مشرك با يقتربن عندهم هاذا اعرفوه. وكذلك أخبار حورة نعلمكم أنه وصلنا الشيخ سالم باوزير وسعيد بن علي نقيب وعاهد النقيب على بلد حورة ومن هو حال فيها من كثيري ويافعي حلاَّن البلاد وصلحنا وشليناهم على كل من هو معاهد انمعاد [ان ما عاد] يحصل انشا الله [إن شاء الله] عليهم تعدي من المسلمين، وكذلك تخلف من طرف الدولة أهل قعطبه [؟] والصدف شل عليهم بن طالب ما يجي المسلمين تعدي ولا يجي المذكورين وهم في البلاد تعدي من المسلمين ولا غيرهم، والبلاد كذلك قدها محدده مصطانة من كل فعل، وشل في وجهه بن طالب على المشركة الدولة والكثير [والكثيري] ونحن شلينا من جميع المسلمين. وحد لمان [الأمان] من قبله ساقية ملاحة،ومن بحر شق الصدف البحري، ومن نجد البطحا، ومن بدا فيه فعل في الخلا من الجانبين فلا في الوجيه منه شي وهو من خلف الحدود. وكذلك انحد [إن

أحد] القا فعل في الخلا فلا تقرابن [؟] من البلاد من الجانبين، وكذلك المسلمين معاد عليهم مجبا ولا بطل [باطل]، ولا عليهم الا انكان [إلا إن كان] الدلالة. وسارت حورة بلاد المسلمين ونحن مزكنين عليكم تعرفون المسلمين الجميع.

والسلام من عبدالحبيب بن قاسم بن علي جابر وبايعشوة[ت] عرّفناه يطرّب على ما في هاذا[هذا] الخط تحيطون بذلك علم . والسلام على كل من طاع الله.

ختم ناجي بن محمد بن جابر بن قملا

الشرح والتعليق:

١– وجه ناجي بن مُحَمَّد بن قملا هذه الرسالة من مركز انطلاقته "خشامر" إلى شيوخ ووجاهات نهد، وكافة نهد، وليس لها تاريخ، لكنها تعود لسنة ١٢٢٤هـ التي عقد فيها بن قملا الصلح مع نهد. ولا شك أن رسالته هذه جاءت بعد مواجهات عنيفة بين الطرفين لم يستطع بن قملا خلالها حسم الأمور واخماد المقاومة التي استمرت طويلاً فلجأ للمصالحة والكف عن المواجهة أو الاعتداء من قبل الطرفين، وإلا لما احتاج لعقد مصالحة إن كانوا من مناصريه، وهو ما تؤكده الأحداث التي ذكرتها المصادر الأخرى، والتي تفيد اضطرار القبائل من نهد ويافع والشنافر إلى محالفة بن قملا وقومه، لتجنب المزيد من المواجهات معهم، فضلا عن كون المصالحة لم تتم مع المعنيين مباشرة، وإنما عن طريق وسيط هو منصب آل باوزير في وادي العين الشّيخ سالم بن أحمد باوزير، نيابة عمن هو في وادي العين من آل باوزير، وحلائهم من القبائل ممن اعتبرهم من المسلمين، وغيرهم ممن لم ينصر الحملة "مشركين". يقول في رسالته لقبائل وشيوخ نهد:"إنّ قرية السّفيل من دخلها من المسلمين فلا عليه تعدّي من المشركة ومن دخلها من المشركة فلا عليه تعدّي من المسلمين ولا حد يقربنَّها من المسلمين إلى خذ شيء حيث دامكم عالمين الحال ولا مشرك با يقتربَّن عندهم هذا اعرفوه".

٢- وبرفقة الشيخ سالم باوزير قدم إلى خشامر سعيد بن علي نقيب، وهو حاكم "حورة" الذي حكمها قبله أسلافه ومنهم النّقيب بركات بن معوضة اليافعيّ، وقد عاهد النقيب على بلد حورة وعلى جميع ساكنيها من كثيري ويافعي، ولأنهم داخلين في المعاهدة، فلن يحصل عليهم أي اعتداء من قبل قوم بن قملا (المسلمين).

٣- وبسبب تخلف ممثلي أهل قعطبه [؟] والصدف، من الوصول إلى خشامر، فقد التزم نيابة عنهم بن طالب بأن لا يقومون بأي اعتداء على (المسلمين)، والمقصود بهم قوم بن قملا، وبالمقابل لن يأتيهم أي اعتداء من (المسلمين) في بلادهم، لأن البلاد مؤمنة من أي فعل.

٤- كما التزم بن طالب (شل في وجهه) على المشركة، ويقصد بهم الدولة وآل كثير، مقابل التزام بن قملا من جانبه نيابة عن جميع (المسلمين).

٥- رسمت الرسالة/المعاهدة حدود الأمان بين أطرافها كافة على النحو التالي: الجهة القبلية(ساقية ملاحة)، الجهة البحرية(شق الصدف)، والجهة النجدية (البطحاء)، وقضت بعدم الاعتداء من الجانبين في إطار بلاد حورة.

٦- أما من يرتكب من الجانبين أي فعل أو اعتداء على أحد خارج الحدود المتفق عليها، فلا يُلزم الطرفين تجاهه شيء، بمعنى أنه يتحمل لوحده تبعات فعله.

٧- ووفقاً لهذه المعاهدة تسقط الجباية(المجبا) وأي باطل على المسلمين عند مرورهم في بلاد حورة، ويلزمهم فقط الدلالة المتعارف عليها لمن يكون دليلاً لهم، وبذلك تصبح حورة بلاد المسلمين.

٨- حملت الرسالة السلام من عبدالحبيب بن قاسم بن علي جابر، وهو أحد أبرز الشخصيات المناصرة لحملة بن قملا، وشقيق الشيخ عبدالحميد بن قاسم بن علي

جابر الذي كان أول حضرمي يصل إلى الدرعية سنة ١٢٠٥هـ تأييداً للدعوة الوهابية، ويبدو أنه كان من أقرب المقربين إلى بن قملا ويحظى بتقديره.

٩- تم إرسال الرسالة مع شخص مخصوص، هو بايعشوت ليعلنها للملا (يطرِّب على ما في هذا الخط) حتى يقفون على مضمونها ويحيطون بها علماً وتصبح سارية المفعول..

تذكرنا رسالة بن قملا إلى نهد في مضمونها بصلح الحديبية الموقع في السنة السادسة للهجرة بين الرسولﷺ وقريش، إذ قسَّم بن قملا في رسالته تلك الحضارم إلى معسكرين: مسلمين ومشركين، فالمسلمون هم من وقف معه وسانده، أما من اعترض حملته أو قاومها فهم في نظره مُشركة، أي مُشركين، وهو بذلك يرفع من شأن جماعته دينياً عن غيرهم من الحضارم، مع أن من يواجههم مسلمون وليسوا بمشركين. بل أن آباء وأجداد أولئك الحضارم كانوا خير رُسل لنشر الإسلام خارج حضرموت، خاصة في شرق آسيا وشرق أفريقيا بسلوكياتهم وأسوتهم الحسنة في نشر الإسلام، دون إكراه أو قتال.

صحيح أن المذهب الشافعي السائد بوسطيته في حضرموت قد لبسته بعض البدع والممارسات مثل التبرُّك بالأولياء وتقديم النذور لهم عبر القائمين على أضرحتهم، ونحو ذلك، وكان من الممكن مواجهتها بالإقناع ومجادلة من يعتقدون بها بالتي هي أحسن، عملا بقوله تعالى{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} أي بالرفق واللين والاقناع وبالحجج المزيلة للشبهة، الموصلة إلى اليقين، وبالنصائح الجميلة المرغبة في الحق والخير، المنفِّرة من الباطل والشر، من غير فظاظة ولا تعنيف.

لكن موقفه هذا لم يخرج عن نهج الدعوة التي تعتبر جميع المسلمين المعاصرين لها ممن لا يؤمنون بتعاليمها أكثر شركاً من الجاهليين في الجزيرة العربية، وخاضوا ضدهم معارك وغزوات في أنحاء متفرقة.

نص الوثيقة رقم(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وعتصمو[واعتصموا] بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. الا ايه [الآية].

من ناجي ابن محمد ابن جابر بن قملا

إلى الخوان [الأخوان] المحبين في الله والمحبوبين فيه، الصلطان [السلطان] جعفر بن محسن وغالب بن عبدالله هرهرة وعبدالله أحمد حيدر عزالدين، وإلى كافت [كافة] رُتبت [رُتبة] سيئون، حماكم الله ورعاكم، والسلام عليكم ورحمت [ورحمة] الله وبركاته، وبعد:

أنه وصلنا كتابكم وعرفنا ما ذكرتوه، وذكرتو لنا ما قام بينكم وبين أهل الفجور وعهودهم الخاينة والمكور فقد شاع وذاع منهم الكذب والغدر والفجر ما يستدل به أهل العقول اتامه[التامة]، وإنما قد هو عندنا أكبر مغنم مخراجهم من بلدكم مكسورين مذلولين على حسب ما ذكرتوه الحمد لله على ذلكم، والحذر كل الحذر طوال الأمل بينكم وبينهم وكلكم يقبض في الله ثم في أخيه غريب وتليد الحذر اتفريق[التفريق] أو تهوين [التهوين] في بعضكم بعض، وصلطان [السلطان]جعفر بن محسن بيض الله وجهه في مقامه معكم وجتهاده والذي نحذركم منه أن آل عمر بن جعفر أهل مخادعة ومكر إلى [إذا] شافوا لهم غِرَّة [1]، إنما الحمد لله ماعاد يقدروا اليوم علا [على] حال لا عيب ولا نقاء ولا وفاء، إن قالو ما عملو وإن شكو ما اطافو وإن بدو فجرو، فلحذر [فالحذر] ثم الحذر من طُوَّال لمل [الأمل] فيهم ولاخره [والآخرة] للمتقين. فيهم انشا الله [إن شاء] الله تشوفو العجب قريب، وأنتم كونوا حسب اضن [الظن] على حسبما بيننا وبينكم ما ذكرتوا..... [تلف في نهاية الصفحة]

بيننا وبينهم إلا الحرب إلى ما الله يهلكهم وهلاكهم قريب ولا عاد اليوم يقدرو على حال الدولة[2] وآل كثير وهيهات كم وكم با يقع انشا الله [إن شاء الله] فيهم واحنا مستعينين عليهم بالله الذي لا إله إلا هو ولا عاد معهم إلا الكذب والحذر يطرش على خواطركم أنه يقع بيننا وبينهم سداد إلا قد شافو ما يكرهوه، والذي له عقل من الناس يدري إنّما سعود الله يحفظه مخلي ابن قملا والقاضي سبيت في حضرموت والاثنين مصفين حضرموت ولمور انشا الله [والأمور إن شاء الله] زينه، وأنتم لا يقطعنا كتابكم، والحذر طول الأمل في قوم لوط الذي الله با يخسف بهم.

---

[1] - غرة: غفلة في اليقظة.

[2] - آل عبد الله هم السلاطين نسل بدر بوطويرق، من ذرية حفيده عبد الله بن عمر بن بدر، وهم سلاطين حضرموت إلى ما قبل الثورة، فيقال لهم : آل عبد الله، ولغيرهم : آل كثير ؛ تمييزا لبيت السلطنة عن غيره.

والسلام وسلموا لنا على رتبت سيون [رُتبة سيئون] جميع. وسلموا لنا على الغراب [الأغراب] وسلام
وسبيت وعبدالحبيب بن قاسم ونا.....جي بن أحمد .....
وخصلة اعرفوها الي [إذا] لكم فطنة افرحو بغشهم هم وناس جميع، الذي له عقل منكم يدري ان ما لهم منكم عذر الي [اذا] استقوت حجتهم ونشا الله [وإن شاء الله] ان أمورهم داخصة وحزمو نفوسكم ولا تلينو والسلام
ختم

ناجي بن مُحَمَّد بن جابر بن قملا

الشرح والتعليق

يستهل الرسالة بآيتين كريمتين من سورتين مختلفتين، الأولى: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ[سورة فصلت ٣٣]. والثانية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [سورة آل عمران: ١٠٢]. ويوردهما دون كتابة فاصل بينهما وكأنهما آية واحدة، فضلاً عن وجود أخطاء إملائية، كما في كلمة (وعتصمو– والصحيح واعتصموا). أما اختياره هذا فلتبيان أهمية الدعوة إلى الله والنصيحة لعباده، والسعي لنصرة الدعوة بتقوى الله والموت على الإسلام.

وقد وجّه هذه الرسالة من خشامر إلى سيئون إلى كل من: السلطان جعفر بن محسن وغالب بن عبدالله هرهرة وعبدالله أحمد حيدر عزالدين وكافة رُتبة سيئون. وهي كما يتبين من مضمونها جوابية على رسالة بعثها المذكورون أعلاه إلى بن قملا، ذكروا فيها ما حدث بينهم وبين آل عمر بن جعفر الكثيري، أو دويلة آل عمر بن جعفر، كما أسماها المؤرخ بن هاشم[1]، والتي حاولت في القرن الثالث عشر إحياء دولة آل كثير من سلالة

[1] - تاريخ الدولة الكثيرية، ص١٤٩.

عمر بن جعفر وانتهت سنة ١٢٢٣ ه بعد هزيمة يافع للأمير جعفر بن علي بن عمر بن جعفر، وانحصرت سلطته وأبناءه من بعده على شبام فقط.

ولأن السّلطان جعفر بن عليّ الكثيريّ هو من رد حملة بن قملا عن شبام عند أسوار شبام سنة ١٢١٩هـ، حسب ابن عبيد الله، فأن بن قملا يصفه وقومه في هذه الرسالة بالفجور والمكر وخيانة العهود والكذب والغدر، ويعتبر اخراجهم من بلادهم مكسورين مذلولين أكبر مغنم، ويحمد الله على ذلك.

وفيها يحذر رُتبة سيئون من طوَّال الأمل بينهم وبين آل عمر بن جعفر الذين تم اخراجهم من سيئون، ومعروف أن الرتبة العسكرية هم من اليافعيين، لذلك يدعوهم (تليدهم وغريبهم) إلى التماسك فيما بينهم وعدم التهوين بعضهم ببعض، ومشيداً بالسلطان جعفر بن محسن في مقامه معهم واجتهاده، ويكرر التحذير من آل عمر بن جعفر ويصفهم مرة أخرى بأهل مخادعة ومكر، ويحمد الله أنه لم يعد بمقدورهم عمل شيء وينذرهم بسوء العاقبة التي تنتظرهم، يقول بالنص:" الحمد لله ما عاد يقدروا اليوم على حال لا عيب ولا نقاء ولا وفاء، إن قالو ما عملوا وإن شكوا ما اطافوا وإن بدو فجروا، فالحذر ثم الحذر من طُوَّال الأمل فيهم والآخرة للمتقي، وفيهم إن شاء الله تشوفوا العجب قريب".

ومن مضمون الرسالة وتكرار التحذير من آل عمر بن جعفر، نستنتج أن خطرهم ما زال حينها قائماً وربما تكررت محاولاتهم لاستعادة سيئون، وهو ما كان يؤرق بن قملا، ولذلك فأنه يستبعد أي محاولة صلح معهم:" والحذر يطرِّش على خواطركم أنه يقع بيننا وبينهم سداد، إلا قد شافوا ما يكرهوه". بل يؤكد تفضيله لخيار الحرب معهم حتى يهلكهم الله، حيث يقول ليس:"بيننا وبينهم إلا الحرب إلى ما الله يهلكهم وهلاكهم قريب ولا عاد

اليوم يقدروا على حال الدولة[1] وآل كثير وهيهات كم وكم با يقع إن شاء الله فيهم واحنا مستعينين عليهم بالله الذي لا إله إلا هو ولا عاد معهم إلا الكذب".

ولرفع المعنويات يؤكد أن الهدف الذي أوكله الإمام سعود لبن قملا والقاضي سُبيت هو تصفية حضرموت بكاملها وأن الأمور (زينة) وتسير بهذا الاتجاه، يقول:" إنّما سعود الله يحفظه مخلّي ابن قملا والقاضي سبيت في حضرموت والاثنين مصفِّين حضرموت والأمور إن شاء الله زينة، وأنتم لا يقطعنا كتابكم، والحذر طول الأمل في قوم لوط الذي الله با يخسف بهم". ويختتم بالسلام على رتبة سيئون، وعلى الأخص (الغرباء)، أي القادمون من يافع الجبل لمؤازرة إخوانهم (التلد)، ويكرر في نهاية الرسالة التحذير من غش آل عمر بن جعفر ومكرهم إذا استقوت حجتهم، ويطالبهم بالحزم وعدم اللين.

نص الوثيقة رقم(٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بهذا ردود السلام من ناجي بن محمد بن قملا

إلى الخوان الحباب [الأخوان الأحباب] في الله والمحبوبين من الخوان[الأخوان] السلطان جعفر بن محسن ومحمد بن محسن والشيخ غالب بن عبدالله بن صالح وعبدالحبيب بن أحمد حيدر وكافة رُتبة سيئون الشيخ علي والظُّبَيّ وبني بكر حماهم الله من الاهانات، واستعملنا واياهم بعمل الصالحات، وجعلنا وياهم من أهل أعلى الدرجات، في المحيا وبعد الممات، اللهم آمين. صدرت من ؟بنسعود؟ والاعلام لدينا سارة يسركم ونصر الله حاصل بفضل طاعة الله كما قال تعالى لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا، الآية. ونوصيكم وإيانا بتقوا الله، كما قال تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ [في النص يتقا] اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، الآية. ونبشركم بالله سبحانه وتعالى ثم بخوانكم [بأخوانكم]عبيد الله واصلة، ونعلمكم بأنه وصلت خطوط من منصر ومن أمر المسلمين وذكر عزوهم وخرجين[عزومهم وخارجين]، واصلة سابع شهر شعبان أقوام الذي تطيّب النفس من الدرعية وهلم والنصر حاصل انشا الله [إن شاء الله] لا عذر ما تشوفو

[1] - آل عبد الله هم السلاطين نسل بدر بوطويرق، من ذرية حفيده عبد الله بن عمر بن بدر، وهم سلاطين حضرموت إلى ما قبل الثورة، فيقال لهم : آل عبد الله، ولغيرهم : آل كثير ؛ تمييزا لبيت السلطنة عن غيره.

ما يسركم من أهل كثير انشا الله [إن شاء الله] قريب ونوصيكم بلصبر[بالصبر] من اصَبَر[صَبَر] اجتَبَر والعاقبة للمتقين وابشرو بلفرح [بالفرح] حاصل انشا لله [إن شاء الله] عن قريب. وأخباركم وصلت نحن حملتكم على المشركة والنصر حصل عسى الله يجيرنا بنصره وياكم [وإياكم] والله الله في الصبر والطاعة وانشا الله[وإن شاء الله] يفتح الفرج قريب وصبر وصابر[واصبروا وصابروا] ورابطو والله معا [مع] الصابرين، والله الله في تقوا [تقوى] الله والفرج حصل انشا الله[حاصل إن شاء الله]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.كذلك لا تقطعوا كتابكم والحمد لله رب العالمين .والسلام من عبدالحبيب بن قاسم وحيدر هادي سالم وقاهم الله آمين.

ختم

ناجي بن مُحَمَّد بن جابر بن قملا

الشرح والتعليق:

تحمل الرسالة في مستهلها ردود السلام، وهي مرسلة أيضاً من خشامر إلى سيئون لكل من: السلطان جعفر بن محسن ومُحَمَّد بن محسن والشيخ غالب بن عبدالله بن صالح وعبدالحبيب بن أحمد حيدر وكافة رُتبة سيئون الشيخ علي والظُبِيّ وبني بكر.. وفيها ذكر على وجه التحديد القائمين في الرَّتبة وهم (آل الشيح علي بن هرهرة والضُّبي وبني بكر).

يذكر أنها صدرت من "بن سعود؟!"، وتحمل أخباراً سارة وبنصر قريب حاصل بفضل طاعة الله. ويبشرهم بقدوم قوة هي في الطريق تطيب النفس قادمة من الدرعية وستصل في السابع من شهر شعبان، مستنداً في ذلك إلى رسائل (خطوط) وصلته من أخيه منصر بن قملا ومن أمير المسلمين، ولعله من يقصده بقوله السابق صدرت من "بن سعود"، ويوصيهم بالصبر، مستدلاً بآيات قرآنية، وكما يقول (من صَبَرَ اجتَبَرَ والعاقبة للمتقين)، ويبشرهم بالفرج عن قريب.

وتخبرنا الرسالة عن حملة قامت بها رتبة سيئون على من أسماهم (المشركة) وهم من يعارض أو يقاوم الحملة. ويطالبهم مجدداً بالصبر والطاعة وبالفرج القريب. وينقل لهم في

نهاية رسالته السلام من عبدالحبيب بن قاسم وحيدر هادي سالم..

ومن مضمون الرسالة وكثرة الحث على الصبر والتبشير بالفرج نستشف أن أنصار حملة بن قملا في سيئون يتعرضون لضغط وربما لمناوشات من المناوئين للحملة، ولذلك جاءت الرسالة بهدف رفع المعنويات للثبات والصبر في انتظار القوات القادمة من نجد، وتحديداً من الدرعية التي يذكر أنها ستطيب الخاطر وتجلب النصر.

نص الوثيقة رقم(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

يُهدا السلام من ناجي محمد بن قملا وعبدالحبيب قاسم بن علي جابر إلى جعفر بن محسن وعبدالله بن جعفر وغالب بن عبدالله بن الشيخ علي وكافة رُتبة سيئون حماهم الله من النار وجميع المسلمين. الذي نعرفكم به أن الله ناصر دينه ونبشركم بأنه وصلونا مكاتبة من القبلة وذكر رجال المسلمين وصَّالة أقوام ما تُحصي وقدم بشيرهم في الطريق، حيطوا علم بذلك، ونشا الله[وإن شاء الله] واصلين في هاذه [هذه]الأيام بنصر والكلام مسرور [سرّي] الحذر حد ينطلع عليه. والقوم في شق الطريق أو ترون انشا الله [إن شاء الله] ما يسركم في عدوان [أعداء] الله ورسوله جعفر والكثير[آل كثير]، وهاذه [هذه] السنة حصادهم انشا الله [إن شاء الله] بحبل الله لا شريك له. والفرج حصل انشا الله [إن شاء الله]، هذا اعرفوه وبلسن (الفطلي؟!) كفاية. وأخوانكم واصلينكم قريب انشا الله [إن شاء الله] طيّبُوا خواطركم. ابشر بنا يا مريب ولو تباعدت إن احنا قريب لا عذر من غارة من خيلنا وكلا عاد سمع دواعي[داعي) هذا[هذا] من مجيب اعرفوه.

ختم

ناجي بن مُحَمَّد بن جابر بن قملا (خلف الصفحة)

الشرح والتعليق:

هذه الرسالة مشتركة من ناجي مُحَمَّد بن قملا وعبدالحبيب قاسم بن علي جابر، بعثا بها من خشامر إلى سيئون، لكل من: جعفر بن محسن وعبدالله بن جعفر وغالب بن عبدالله بن الشيخ علي وكافة رُتبة سيئون. وهي امتداد للرسالة السابقة، كما يتبيّن من مضمونها، وتشير إلى وصول رسائل (مكاتبة) من جهة القبلة تبشر بوصول أقوام لا تُحصى من المسلمين وهم في طريقهم واصلين في هذه الأيام، ويعتبر ذلك سراً يحذر من أن يطلع عليه أحد سواهم (الكلام مسرور الحذر حد ينطلع عليه). وتصف الرسالة جعفر وآل كثير بأعداء الله ورسوله وتبشر باقتراب نهايتهم(حصادهم) هذه السنة إن شاء الله، تقول:"ترون إن شاء الله ما يسركم في عدوان [أعداء] الله ورسوله جعفر وآل كثير، وهذه السنة حصادهم إن شاء الله بحبل الله لا شريك له، والفرج حصل إن شاء الله".

وتختم الرسالة بمخاطبة كل مريب بغارة على صهوة الخيول(أبشر بنا يا مريب ولو تباعدت إن احنا قريب لا عذر من غارة من خيلنا)..

وكما نرى فباستثناء الرسالة/ الحلف الموجهة إلى نهد، التي توصل فيها الطرفان إلى صلح أشبه بصلح الحديبية، خاصة في تقسيم الطرفين إلى "مشركة" أو "مشركين" و"مسلمين"، فإن الرسائل الثلاث الأخرى التي وجهت جميعها إلى الشخصيات الرئيسية من آل كثير ويافع المسيطرين على سيئون، تدل على استمرار المواجهات مع آل عمر بن جعفر الذين انحصر نفوذهم في شبام وما جاورها وظل خطرهم قائماً، ويمكن أن نصف تلك الرسائل بأنها رسائل تطمين تهدف إلى رفع معنوية أنصار بن قملا، وتكرر تحذيرهم من أي تواصل مع آل عمر بن جعفر أو التأثُّر بخطابهم الإعلامي أو دعاياتهم التي يطلق عليها الكاذبة، ويصفهم بأهل مكر وخداع.

الشخصيات التي شملتها رسائل بن قملا

تكشف لنا مراسلات بن قملا الشخصيات الهامة التي وجه إليها بن قملا رسائله، وإذا استثنينا رسالته إلى شيوخ ومقادمة نهد الواردة أسماؤهم في رسالته الموجهة إليهم، والتي كان للشّيخ سالم بن أحمد باوزير الدور الرئيسي والهام في صياغة مضمونها، ولا نستبعد أن يكون كاتبها بخط يده، واكتفى بن قملا بمهرها بختمه، دون حتى أن يوقع عليها، كما في جميع رسائله، وكان الشيخ سالم باوزير هو من حالف بن قملا نيابة عن سكان وادي العين، وهو أيضاً من اقنع سعيد بن علي نقيب اليافعي لأن يعاهد على بلد حورة ومن هو حال فيها من كثيري ويافعي.

وباستثناء الرسالة الموجهة إلى نهد، فأن الثلاث الرسائل الأخرى قد وجهت جميعها إلى سيئون وإلى شخصيات كثيرية ويافعية فيها، منهم: السلطان جعفر بن محسن الكثيري الذي تصدر اسمه الرسائل الثلاث أعلاه، وإلى جانبه من أقربائه شقيقه مُحَّد بن محسن، وعبدالله بن جعفر، وقد استغل بن قملا صراعهم مع آل عمر بن جعفر الكثيري الذين ينابذونه العداء فتجاوبوا معه على قاعدة عدو عدوي صديقي. ومن الشخصيات اليافعية الرئيسية الهامة التي لها بصمات في الأحداث التي شهدتها حضرموت الشيخ غالب بن عبدالله بن صالح بن يحيى بن الشيخ علي هرهرة، وهو ينتمي إلى سلاطين آل هرهرة، وهو من المقربين لآل بن بريك، ولا يبدو أنه من أنصار بن قملا أو ممن اقتنع بدعوته، وما يؤكد ذلك رسالة بعث بها من الشحر إلى صديقه الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر وآخرين يتشفى فيها لهزيمة بن قملا في ساحل حضرموت، يقول فيها:" أخبار حضرموت ساكنة غير ساكنة، وقملا وصل بقوم إلى الساحل ورجع مكسور وصل بقوم إلى حورة وخذ أيام

ونفذ إلى القبلة ومنصر خلف في حورة" [انظر الوثيقة رقم ١٣][1].

ومن آل عز الدين البكري، وهم فقهاء يافع وقضاتها، نذكر الشخصية المحورية،نائب الشرع عبدالحبيب بن أحمد حيدر الذي كانت له ارتباطات وثيقة وعلاقة حميمة مع كل من أمراء الدولتين الكسادية والبريكية ومع سادة عينات وسلاطين يافع وآل كثير وغيرهم، صحيح أن اسمه لم يرد إلا مرة واحدة ضمن من وجهت إليهم رسائل بن قملا، وكذا اسم شقيقه عبدالله أحمد حيدر لمرة واحدة أيضاً..لكننا نجده اسمه حاضراً في عشرين من وثائق هذا البحث، إما مُخَاطباً أو مرسلاً، كما سبق لنا القول. وممن خاطبه غير بن قملا، النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي والنقيب عبدالحبيب بن صلاح الكسادي، ورجل الدولة الكسادية عبدالمطلوب سالم بن زنبور، ومنصب عينات أحمد بن الشيخ سالم ابن الشيخ أحمد وغيرهم كثير، ونجد أن مواقفه توافقية مع الجميع، ولهذا استطاع أن يكون حاضراً ومؤثراً في معظم الأحداث لما له من مكانة لدى أبناء جلدته اليافعيين، سواء في حضرموت أو في يافع، ولا يمكن القول أنَّه نَاصَرَ أو ساند حملة بن قملا، بل أنه ممن سعى للوقوف ضدها، ويكفي للتدليل على ذلك ما قاله في رسالة جوابية مشتركه بعث بها من المكلا هو والشيخ علي بن ناصر بن يحيى بن الشيخ علي هرهرة إلى الحبيب شيخ بن عبدالله بن أحمد آل الشيخ أبي بكر بن سالم والسلطان عبدالله ابن يحيى بن حسين ابن الشيخ علي هرهرة في الشحر، وهما من ذوي المكانة لدى آل بن بريك، وتشير تلك الرسالة إلى خبر وصول بن قملا ومن معه إلى البنادر(الموانئ) وطمعه في أن يفتن بين أهالي البنادر (با يرج في بعضهم البعض) وأن هناك من أوعز له ذلك وهو ما لا عِلْم لنقيب

[1] - وبين أيدينا أيضاً وثيقة مؤرخة في ٤ ربيع ثاني سنة ١٢٢٠هـ عن حلف طيب ونقاء ونفوع، جاء فيه:" خط شاهد كريم بيد القاضي عبدالحبيب بن أحمد بن حيدر بن عزالدين البكري والسلاطين علي قاسم وغالب بن عبدالله بن صالح هرهرة بأنا شالهم حلف الله على الطيب والنقاء ونفوع الدنيا حيث يصل نفعنا واحتلف لنا حلف الله على الطيب والنقاء ونفوع الدينا حيث يصل نفعهم حلفهم على مكتب الضُبَيّ الجميع من الجبل إلى حضرموت وهذا الخط شاهد بيدَّاتهم والله خير الشاهدين".وتوقيع العولقي (في أعلى الورقة)[من محفوظات ناصر علي محمد الفقيه بن عزالدين البكري]. .

المكلا الكسادي به ولا يرضاه، وجاء بالنص:" إن الوالد النقيب عبدالرب بن صلاح(حاكم المكلا) ما عنده علم ولا هو راضي، والله الشاهد قوله تعالى: إن من أموالكم وأولادكم فتنة، وصار بن قملا يتابع قبصات(وخزات) يافع وهتك مناصبهم سبب رضا بعضهم البعض ولا أحد قام في وجهه، والتالية (في الأخير) عاد معه الشحر والمكلا واعلموا ان قام لهدته (لمواجهته) بن بريك فهو لها أهل وقصد نحوه وان هو الكسادي، وكذلك فإن الله با يهدي وبايقدر صالحت أحوالهم وصارت اليد واحده وعسى الله يؤلف بين قلوبهم"[١].

كما كان اسمه ضمن الشخصيات اليافعية في المكلا الذين وجه إليهم صاحب عينات رسالة طلب النجدة بعد ما تعرض له من أذى وحبس من قبل قوم بن قملا عند دخولهم عينات[٢].

ومن أسرة آل هرهرة في حضرموت فإلى جانب الشيخ علي بن ناصر بن يحيى بن الشيخ علي هرهرة والسلطان عبدالله ابن يحيى بن حسين ابن الشيخ علي هرهرة، السابق ذكرهما، نذكر أيضاً: غالب بن عبدالله بن صالح يحيى هرهرة ومطهر بن ابوبكر هرهرة وطاهر بن عمر وصالح بن محسن بن الشيخ علي هرهرة.

ومن مشايخ آل البكري: الشيخ علي عوض دينيش، وصالح دينيش، والشيخ عبدالنبي بن عوض دينيش، والشيخ عبدالله عوض دينيش.

ولم يشارك بن قملا في توجيه رسائله سوى المقرب إليه عبدالحبيب قاسم بن علي جابر في رسالة واحدة فقط، لكنها تعكس العلاقة الحميمة بينهما والتنسيق المشترك.

١ - انظر الوثيقة رقم (١٢).
٢ - انظر الوثيقة رقم(١٤).

أسباب حملة بن قَمْلا

تضاربت الأقوال في أسباب قدوم حملة بن قَمْلا إلى حضرموت، فقيل أن ذلك بسبب ظلم وقع على السيد أحمد الكاف، ولمّا لم ينصره أحد سافر إلى نجد واستنجد بالوهابيين[١]، ولا أظن ذلك سبباً وجيهاً يمكن الاستجابة له دون علاقة مسبقة لها صلة بقبوله دعوتهم، خاصة إذا ما علمنا أن الوهابيين كانوا يبغضون السادة وجميع القرشيين[٢]. وقيل إن الذي استنجد بهم هو منصب الحداد لينتقم من الحضارم حين عارضوا في وضع التابوت على قبر جده[٣]. وهذا قول غير صحيح لسببين رئيسيين، الأول أن عقيدة الوهابية لا تقر بتلك التوابيت بل جاءت لتحطيمها وهدم القباب ومَنْع الرواتب، وثانياً أن ما عُرفت بـ"فتنة تابوت الحداد"، ترجع إلى سنة ١١٦١هـ، أي إلى ما قبل حملة بن قملا بحوالي ستة عقود[٤]، وهو ما يبطل صحة هذا القول.

وفي بحثنا عن أسباب ودوافع الحملة الوهابية لم نجد أية أسباب سياسية أو عسكرية تهدف للسيطرة الوهابية على مناطق حضرموت أو اخضاعها لحكمهم المباشر، كما هو

---

١ - انظر: في جنوب الجزيرة العربية، صلاح البكري، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده-مصر، ط١، ١٩٤٩م. ص ١٤١.

٢ - عادات وتقاليد حضرموت الغربية، ص٦٩-٧٠.

٣ - في جنوب الجزيرة العربية، ص١٤١.

٤ - يقول ابن عبيدالله السقاف في معرض حديثه عن آل العيدروس في تاربة:" وهؤلاء هم مناصبها وامراؤها وكان لهم الضلع الأقوى في الفتنة التي قامت بتريم سنة ١١٦١هـ بسبب تابوت القطب الحداد، فان آل العيدروس جَدّوا في منعه ومعهم آل جابر، واما آل الحداد صمموا على وضعه ومعهم آل كثير ومنصب الشيخ ابي بكر بن سالم، وأما يافع فافترقوا وواربوا، وكانت النتيجة ان التابوت وضع على قبر الحداد، ثم احرق ثم رمّم ووضع ثم أزيْلْ" [ابن عبيدالله السقاف : معجم بلدان حضرموت المسمى ادام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ط١، ٤٤٧]. ويقول المؤرخ محمد بن هاشم:" وفي سنة ١١٦١هـ كانت واقعة التابوت الذي أرسله الشيخ العمودي لضريح الحداد، وهو شبيه التابوت الذي على قبر المحضار. فاختلف رأي السادة فبعضهم رضي ذلك كالحبيب أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم ومنهم من لم يرض كالسادة آل العيدروس، وكذلك اختلف رأي القبائل على هذا حتى وقعت الحرب على وضعه، وأصابت رصاصة رأس السيد صالح بن علي بن أحمد ونفذوا به إلى عيانات حيث قضى نحبه، وبقي التابوت موضوعاً في بعض الديار بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامة البعسي وصمم الحبيب أحمد بن علي على وضعه على الضريح فجاء الرتبة من يافع ووضع بحضورهم، قيل على رضى من آل همام ممزوج بخداع. وبعد وضعه قام السادة آل العيدروس وعظم عليهم الأمر واستنجدوا بالشنافر وساروا إلى أحيائهم، فصار بعد ذلك ما صار من حريق التوابيت كلها التي على القبور، ثم تراجع الناس واجتمع الرأي على إرجاع التوابيت فأعيدت على حالها وأصلحن بأعواد هندية مصهرة".[تاريخ الدولة الكثيرية،ط١، ص ١٤٤- ١٤٥].

الحال في نجد والحجاز. ومن المعروف أنه لم يكن للدولة السعودية الأولى جيش ثابت، عدا الحرس الخاص بالإمام، وكان يتكون من حوالي ٣٠٠مقاتل. وكان أهل المذهب جميعاً مكلفين بالقتال من الثامنة عشرة حتى من بلغ الستين منهم..ويُطلب من كل جندي أن يحضر معه زاده وسلاحه، وله بعد ذلك نصيب من الغنائم التي توزع حال النصر[١].

ولم يكن لحملة بن قملا إلى حضرموت جيشٌ كبيرٌ ومنظم يسيطر على الأرض ويستقر بها، وإنما مجاميع غير نظاميين من اتباع المذهب والمتحمسين له ممن جاءوا مع قائدهم من أقاربه وغيرهم من بدو نجد أو ممن انظم إليهم من أنصارهم الحضارم، لم نجد ما يدل على عددهم، لكنهم يتألفون من بضعة آلاف، وإن قدر البعض عددهم بستة آلاف[٢].

ويكاد سبب توجه حملة بن قملا إلى حضرموت لأهميتها الدينية وتأثيرها الروحي الممتد في كل محيطها المجاور بنزعتها الوسطية أو الصوفية، وبما لحق بها من إضفاء الكرامات على الأولياء وتقديس أضرحتهم ومزاراتهم، ولذلك انحصر السبب، من وجهة نظرنا، في هدف عابر واحد فقط، هو محاربة تلك المظاهر التي يرونها بدعةً تتنافى مع عقيدة السَّلف كالقباب والمزارات والأضرحة والأذكار، ثم العودة من حيث أتوا، وهذا ما اتضح من حملاتهم المتعددة التي اختلف المؤرخون في تحديد عددها وتواريخها.

وجُلّ ما تفيدنا به رسائل ناجي بن مُحَّد بن جابر بن قملا أنه قسَّم الحضارم إلى معسكرين: مسلمين ومشركين، فالمسلمون هم من وقف معه وسانده، والمشركون أو المشركة هم من عارض حملته أو قاومها، وأن الحملة جاءت لمحاربة المشركين وأهل الفجور وعهودهم الخائنة والمكور، وحذر من طوَّال الأمل في من يطلق عليهم (قوم لوط الذي الله با يخسف بهم).

[١] - إمارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى(١٧٩٣-١٨١٨م)، د.محمد مرسي عبدالله،المكتب المصري الحديث- القاهرة،١٩٧٨م، ص١٤١.
[٢] - انظر الوثيقة رقم (١٦).

ويذكر صلاح البكري أن الوهابيين حينما جاءوا إلى حضرموت سنة ١٢٢٤هـ، راعهم ما رأوه هناك من الخرافات والخزعبلات، وما شاهدوه من استعباد بعض رجال الدين للناس، ووجدوا الحضارم يقدسون القبور ويقدمون لبعض الموتى القرابين والنذور، ويطوفون بقبورهم كما يطوف المسلمون بالكعبة، ورأوا أصحاب السلطة الروحية يبيعون التمائم والأحجبة للجهلة والمغفلين، فهدموا القباب وحطموا التوابيت، ومنعوا الرواتب واعتقلوا المناصب[١].

ولذلك فحين دخلوا تريم كسروا قببها وسوّوا القبور المُشَرَّفة، وحرقوا كتب العلويين، وحبسوا مناصب "آل عِيْنَات" و"آل تاربة" وأهانوهم، ومنعوا الرواتب والأذكار والتذكير مدة وجودهم وهي نحو أربعين يوماً، ثم انحسروا راجعين إلى أراضيهم[٢]. وفي هينن وحورة وحواليهما هدَّموا غالب رؤوس القُبَب المبنية على القبور حتى بلغوا إلى قبة نبي الله هود[٣]. وكانت حورة في الأزمنة المتأخّرة تحت حكم النّقيب بركات بن معوضة اليافعيّ، وله مكاتبات من الحبيب عليّ بن حسن العطّاس، ثمّ استولت عليها عساكر السّلطان عبد العزيز بن محمّد بن سعود، أو ولده سعود المتوفّى سنة (١٢٢٩ هـ) وطردوا النّقباء اليافعيّين أو صالحوهم لاتّفاق في المبادئ[٤]. وفي الشحر أخربوا القِبَاب، وأبعدوا التوابيت، ثم ركبوا سفائنهم وعادوا لِطَيِّتهم[٥]. وبذلك يتضح لنا أن هدف السيطرة والحكم لم يكن ضمن أهدافهم، فلم يحدث منهم ما يشير إلى ذلك، بدليل مغادرتهم الشحر بعد مرور ٤٠ يوماً على مكوثهم فيها، دون أن يتركوا من ينوبهم أو يمثلهم هناك.

---

١ - في جنوب الجزيرة العربية، ص١٤١.

٢ - انظر: تاريخ الدولة الكثيرية، محمد بن هاشم، تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢م.ص١٥٢. معجم بلدان حضرموت، ص٤٥٠.

٣ - تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تأليف الشيخ العلامة سالم بن محمد بن سالم ابن حميد الكندي (توفي ١٣١٠هـ)، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي،مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م، المجلد الأول:٣٢٠/١.

٤ - معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص٢١٩

٥ - معجم بلدان حضرموت، ص٧٦.

ومن الأسباب أو العوامل التي حفزّتهم للقدوم بحملتهم إلى حضرموت هو وجود الأنصار والمتحمسين لنشر دعوة الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب ممن سبق لهم التأثر بها وعملوا على نشرها في محيطهم. ومما لا شك فيه أن وصول حملة بن قملا إلى حضرموت كان مخططاً له مسبقاً مع أتباع حركة الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب في حضرموت، فقد سبق ذلك تواصل وتنسيق مع أتباعها منذ وقت مبكر حيث التقى الشيخ عبدالحميد بن قاسم بن علي جابر اليافعي، ساكن خشامر، في عام ١٢٠٥م بالإمام عبدالعزيز بن مُحَمَّد آل سعود في الدرعية، وتحالف معه على أن يعمل على نشر الدعوة في حضرموت، وكان قد زوده الإمام بمجموعة من كتب الدعوة لتهيئة الأرضية لها ونشرها في مناطق حضرموت، ثم انظم إليه حاكم تريم الأمير عبدالله بن عوض غرامة وآخرون[١].

وهؤلاء كانوا هم من استقبل بن قَمْلا وجيشه، وكانوا في صدارة المؤيدين والمساندين لحملته التي تحارب الغلو في تقديس أضرحة الأولياء والمبالغة في كراماتهم ومظاهر التبرك بهم وطلب الشفاعة منهم بتقديم النذور والقرابين والاعتقاد بأنهم قادرون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والافراط في العناية بقبورهم وتحويلها إلى مزارات دينية. ويذكر ابن عبيدالله أن وصول الوهابية إلى حضرموت كان بطلب من بعض السادة وآل كثير، ولم يكن لهم عسكر كثير وإنما كانوا ينشرون دعوتهم فيستجيب لهم الناس، وكان ممن استجاب لهم آل علي جابر بخشامر غربي شبام، وبعض السَّادة، وبعض آل كثير، وعبدالله عوض غرامة بتريم، فتمكنوا بذلك من هدم القباب وتسوية القبور[٢]. وقد تحدث الأديب علي أحمد باكثير[٣] عن هذه القباب وما تعرضت له بقوله :

١ - انظر: حضرموت وعلاقتها بنجد، ص ٣٨٧.
٢ - معجم بلدان حضرموت، ص٥٦٠.
٣ - علي أحمد باكثير، شاعر وأديب حضرمي بارز ولد سنة ١٩١٠م في اندونسيا وتوفي في مصر سنة ١٩٦٩م.[الأضرحة المقدسة في حضرموت، ص٨٥].

قبابهـــــا زاهيــــــــة لـــــــو لم يكــــن حرمهـــا اسمــــح ديــــن
هـــدم بعضـــها بنـــو التوحيـــد فيمـــا مضـــى مـــن الســـنين

مراحل حملة بن قَمْلا

رغم أن المصادر تذكر حملة بن قملا، وكأنها حملة واحدة، لكنها في الحقيقة عدة حملات، أو مراحل في سنوات عديدة من الصعب تحديدها بدقة، لعدم تدوين مراحلها في زمنها، وافتقار رسائل قائد الحملة إلى التواريخ التي يمكن أن تقربنا من ذلك. وأن أجمعت كثير من المصادر والمراجع على أنها ثلاث حملات، فأنها تختلف في تحديد زمن كل حملة، ونجد مثل هذا الاختلاف حتى في المصدر الواحد أحياناً.

ومع أن التنسيق والتواصل مع مركز الوهابية في الدرعية قد بدأ منذ سنة ١٢٠٥هـ، كما أسلفنا، فقد يتساءل البعض عن سبب تأخر وصول أول حملة ورد ذكرها في المصادر لجيش بن قملا سنة ١٢١٨هـ. أي بعد ذلك اللقاء في الدرعية وبفارق زمني بلغ ١٣عاما. والجواب ببساطة أن تلك الفترة كانت مرحلة تهيئة وإعداد ونشر للدعوة الوهابية وإرساء الأرضية لها، وما كان للحملة أن تتم وتبلغ حضرموت قبل استتباب الأمور في الحجاز وما جاورها. ونعلم أن سيطرة أتباع الإمام محمد عبدالوهاب على الطائف ثم مكة حدثت تباعاً عام ١٢١٧هـ، ثم بعد ذلك فقط بدأت أنظارهم تتجه جنوباً نحو اليمن وحضرموت، وشرقاً نحو عمان. وهذا ما أشارت إليه إحدى الرسائل الخاصة التي تعود إلى ذلك العام، والتي بعث بها من الشحر عبدالقوي بن صالح علي ناجي، أحد رجالات إمارة آل بريك إلى (القاضي العالم العلامة عبدالحبيب بن أحمد حيدر عزالدين، وكذلك الشيخ علي عوض دينيش وكافة بني بكر)، نقلاً عن قادمين من جدة يفيد أن الوهابيين قد أحكموا سيطرتهم على الطائف وجيزان واللحية والشريف، يقول بالنص:" لا بد قد بلغكم عزوم الصنو عبدالكريم بن سيف والصنو عبدالحق بن صالح ومعهم مقدر خمستعشر نفر ولما قدهم

بشقرة لحقوا (دَاوْ)[١] عيال بن عمر زيد وصل من جدة له عشرين يوم وخَبَّر أن الوهابي أخذ الطائف وجيزان واللحية والشريف خرج وأخذوا بيت المال ويعلم الله ما يكون". ويفيد أيضاً أن الشريف وقومه طلبوا نجدة من العثمانيين يتداركونهم، أو كما جاء بالنص (عادهم ارسلوا مكاتبة إلى ابن عثمان يدَّارك عليهم).

ومع ذلك لا نجد اتفاقا لدى المؤرخين حول مراحل حملة بن قَمْلا، بل أن الاختلاف في ذكر عددها وفي أعوامها هو سيد الموقف في الكتابات المتناثرة التي تعرضت لها، كما أن البعض لم يحدد تاريخاً لها.

فابن عبيد الله السقاف، مستنداً على ما قال السّيّد علويّ بن أحمد بن حسن في مقدّمته لـ «ديوان جدّه»، يذكر أنّهم خرجوا إلى حضرموت ثلاث مرّات.

فالأولى : سنة (١٢١٨ هـ)، وردّهم جعفر بن عليّ لمّا ملك شبام.

والثانية : سنة (١٢٢٤ هـ)، وجرى منهم ما تقدّم في تريم، وأخذوا نحوا من أربعين يوما، ثمّ ساروا منها كلّهم.

والثّالثة : خرجوا سنة (١٢٢٦ هـ)، ووصلوا قريبا من شبام وفازوا بالقتل والانهزام، ورجع منهم من رجع شذر مذر [٢].

وفي موضع آخر يذكر أن أولى هجمات بن قَمْلا جرت سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م وكانوا قليلي العدد واستطاع السلطان الكثيري جعفر بن علي أن يصدهم عن مدينة شبام، ثم استأنفوا الهجوم سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، واستولوا به عليها وأقاموا بها ردحاً من الزمن يبعثون البعوث بقيادة الأمير علي بن قملا وأخيه ناجي، وفي سنة ١٢٢٤هـ استولوا على حضرموت وهدّموا القِبَاب بها، إلاَّ قُبَّة السيد أحمد بن زين الحِبْشِي فأنهم لم يُعَرِّجُوا

---

١ - داو: مركب أو سفينة شراعية.
٢ - معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص٥٤٠.

عليها مراعاة لخواطر آل كثير الذين فتحوا لهم الطريق ولم يعارضوهم في شيء. وكذلك هاجموا حضرموت في سنة ١٢٢٦هـ، واختلفت الأقوال فقيل: إنهم انكسروا دون شبام بقيادة الحبيب حسن بن صالح البحر، وقيل: إنهم استولوا عليها في سنة ١٢٢٤هـ ولم يكن السيد الحسن البحر من المتعصبين على الوهابية ولا من المتشددين في إنكار مذهبهم..فلا يبعد أن يقود الجيوش لمحاربتهم لأنه ينكر على غلاتهم تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم[١].

وفي سنة١٢٢٤هـ/١٨٠٩م جاء الوهابيون بحراً على متن خمس وعشرين سفينة ونزلوا مدينة الشحر ومكثوا بها أربعين يوماً، ولم يتعرضوا للسكان بأي أذى في الأنفس أو الأموال واقتصرت أعمالهم على هدم القباب واستبعاد التوابيت من قبور الأولياء[٢].

أما المؤرخ مُحَمَّد عبدالقادر بامطرف فيذكر أن قدوم الوهابيين كان على فترتين إحداها نحو عام ١٢٢١هـ في عهد السلطان جعفر بن علي بن عمر الكثيري عن طريق "العَبْر" ثم عادوا إلى نجران. والأخرى عام ١٢٢٤هـ تحت قيادة بن قَمْلا في عهد السلطان علي بن عمر الكثيري(٣)، وهناك من يذكر أن حملتهم الثانية كانت في عام ١٢٢٧هـ [٤].

وفي ضوء ما تقدم أعلاه، وإذا اعتمدنا السنوات التي ورد ذكرها لدى المؤرخين في المصادر والمؤلفات المختلفة، نجد أن مراحل الحملة تكررت قرابة ثمان مرات في ثمان سنوات مختلفة، هي:

(١) سنة ١٢١٨هـ، وفيها جرت الحملة الأولى، كما يذكر ابن عبيد الله، وردّهم السلطان الكثيري جعفر بن علي.

---

[١] - معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص ٥٤٠-٥٤١.

[٢] - إمارة آل بن بريك في الشحر(١١٦٥-١٢٨٣هـ/١٧٥١-١٨٦٦م)،خالد حسن الجوهي، دار الوفاق- عدن، ط١، ٢٠١٠م،ص٦٢،٦١.

[٣] - المختصر في تاريخ حضرموت،ص٩١.

[٤] - الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف حضرموت،ص٦٦.

(٢) سنة ١٢١٩هـ، وفيها كانت أولى هجمات بن قَمْلا، كما يذكر ابن عبيد الله في مكان آخر من نفس كتابه (إدام القوت) وهو يناقض قوله السابق، وذكر أن أعدادهم كانت قليلة وتمكن السلطان الكثيري جعفر بن علي أن يصدهم عن مدينة شبام.

(٣) سنة ١٢٢١هـ، كان فيها قدوم الوهابيين، في عهد السلطان جعفر بن علي بن عمر الكثيري عن طريق "العَبْر" ثم عادوا إلى نجران، وفقاً لرواية المؤرخ مُحَمَّد عبدالقادر بامطرف.

(٤) سنة ١٢٢٣هـ، فيها استأنف قوم بن قملا الهجوم على حضرموت، كما جاء في (ادام القوت)، بما يعني إن حملتهم الثانية كانت في تلك السنة، بقيادة الأمير علي بن قملا وأخيه ناجي، واستولوا بها على حضرموت وأقاموا بها ردحاً من الزمن يبعثون البعوث. كما يذكر ذلك ابن هاشم أن أقوام بن قملا جاءت للمرة الثانية في عهد السلطان علي بن بدر بن علي بن عمر بن جعفر، الذي تولى بعد أبيه المتوفي سنة ١٢٢٣هـ. وأنهم اكتسحوا القطر الحضرمي بجيش عرمرم من قبائل الدرعية وعاثوا فساداً في الكسر وهينن وحورة واضطر القبائل من نهد ويافع والشنافر إلى محالفتهم واستباح هؤلاء الدرعيون حضرموت بأسرها وسفكوا الدماء.

(٥) سنة ١٢٢٤هـ فيها جرت الحملة الثانية لقوم بن قملا، وفقاً لرواية ابن عبيد الله، وأخذوا نحو أربعين يوماً في تريم..وفي نفس السنة يذكر أنهم استولوا على حضرموت وهدّموا القِبَاب بها. وكانت حملتهم الثانية تلك في عهد السلطان علي بن عمر الكثيري[1].

وفيها دخلوا تريم وكسروا قببها وحرقوا كتبها وغرموا أهلها من النقود والأقوات ما لا

[1] - المختصر في تاريخ حضرموت، ،ص٩١.

يقدرون عليه، وحبسوا مناصب الجهة ومنعوا الرواتب والأذكار والتذكير مدة وجودهم وهي نحو أربعين يوماً، ثم انحسروا راجعين إلى أراضيهم [١].

وفيها جاء الوهابيون بحراً على متن خمس وعشرين سفينة ونزلوا مدينة الشحر ومكثوا بها أربعين يوماً، ولم يتعرضوا للسكان بأي أذى في الأنفس أو الأموال واقتصرت أعمالهم على هدم القباب واستبعاد التوابيت من قبور الأولياء[٢].

(٦) سنة ١٢٢٦هـ، وفيها كانت الحملة الثالثة، حسب ابن عبيد الله، ووصلوا قريباً من شبام وكان النصر فيها حليف الحضارم وانهزام الوهابيين ورجع منهم من رجع شذر مذر[٣].

وفيها تذكر الروايات عن حملة الوهابيين بقيادة قملا الملقب"هدهد"، تحركت إلى الغرب من ناحية تريم بأعداد كثيرة جداً من بدو نجد والحجاز. وكانوا يبغضون السادة وجميع القرشيين، وهدموا القباب وأحرقوا التوابيت والمخطوطات[٤].

وفيها كانت الحملة الثانية على الشحر بحرية، في خمسٍ وعشرين سفينة تحت قيادة ابن قَمْلا، وقد دخلوا الشحر دون أن يؤذوا أحداً في حال ولا مال، ولم يهلكوا حرثاً ولا نسلاً[٥]، وإنما هدموا أثناءها جميع القباب المقامة على ضرائح الصالحين وأخذوا جميع التوابيت الموضوعة على قبورهم ما عدا قبة الشيخ فضل بن عبدالله بافضل فلم تنلها يد الهدم.

(٧) سنة ١٢٢٧هـ، هناك من يذكر أن حملتهم الثانية كانت في هذه السنة[٦] وهو أمر

١ - تاريخ الدولة الكثيرية،ص١٥٢.
٢ - إمارة آل بن بريك في الشحر،ص٦٢،٦١.
٣ - معجم بلدان حضرموت، ص٥٤٠.
٤ - عادات وتقاليد حضرموت الغربية، ص ٦٩.
٥ - معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت،ص٧٦.
٦ - الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف حضرموت،ص٦٦.

نستبعده ولا يوجد دليل يؤكده.

(٨) سنة ١٢٢٨هـ وفيها وردت إشارة إلى حملة في طريقها إلى حضرموت، تفيد أن ناجي بن قَمْلا وبن عفرا خارجين إلى حضرموت بحوالي ستة آلاف شخص وأنهم قد وصلوا إلى بلد "الأمواه"، والأرجح أنها لم تصل إلى حضرموت بسبب المواجهات مع قوات مُحَمَّد علي باشا في مناطق نفوذهم في الحجاز التي صرفت اهتمام الوهابيين عن حضرموت.

وفي ظل هذا التضارب في عدد الحملات الوهابية وسنواتها، الذي نجده حتى لدى المؤرخ الواحد، لا نستطيع الجزم برأي معين، وان كان الرأي الأغلب يشير إلى ثلاث حملات، لكن الاختلاف يظل على توقيتها قائماً، ونترك هذا الأمر للزمن فقد يكشف لنا عن وثائق أو شواهد تقودنا لمعرفة الحقيقة كاملة.

هل كان لقائد الحملة مساعدون؟

تأسيساً على ما تقدم نعتقد أن مراحل وسنوات هذه الحملة تحتاج إلى مزيد من التدقيق للوقوف على عددها وزمنها، ومعرفة هل كان قائدها جميعها هو ناجي بن مُحَمَّد بن جابر بن قَمْلا فقط؟، أم كان له مساعدون أو قادة آخرون من أقربائه وأنصاره ممن شاركوا في مراحل هذه الحملة، أو تناوبوا القيادة في بعض مراحل الحملة وهذا ما نرجحه وتؤكده الوثائق التي بين أيدينا .

ففي رسالة من ناجي بن قملا يذكر وصول رسائل (خطوط) من أخيه منصر ومن أمير المسلمين تفيد بخروجهم بأقوام كثيرة تطيّب النفس من الدرعية وأنها واصلة في السابع من شهر شعبان، دون أن يذكر السنة، ويوصيهم بالصبر وباقتراب النصر، يقول:" ونعلمكم بأنه وصلت خطوط من منصر ومن أمر المسلمين وذكر عزومهم وخارجين، واصلة سابع شهر شعبان أقوام الذي تطيّب النفس من الدرعية وهلم والنصر حاصل إن شاء الله لا

عذر ما تشوفوا ما يسركم من أهل كثير إن شاء الله قريب ونوصيكم بالصبر من صَبَرَ اجتَبَرَ والعاقبة للمتقين وابشروا بالفرح حاصل إن شاء الله عن قريب".

وفي رسالة أُرسلت من سيئون إلى يافع تعود إلى شهر شعبان سنة ١٢٢٥هـ[١] تذكر اسم القائد منصر بن قملا، بعد أن غادر حينها أخوه ناجي بن قملا حضرموت إلى الدرعية، وانقطعت أخباره، بحيث لا يُعرف هل هو ميّت أم حيٌّ. وهذا يعني أن منصر شارك أخيه قيادة الحملة أثناء غيابه، وكان حينها الرجل الأول في محور حورة والمتصرف في شئونها. وتذكر تلك الرسالة أن منصر بن قملا كان في حورة وحده ومعه عشرة أشخاص، وأنه أخذ أموال يافع وآل كثير (الدولة)، وتشير إلى أن يافع كانوا نافذين بمقدر ٨٠شخصاً من رُتبة سيئون بعد رضا قبائل آل نهد بوصولهم، حسب مكاتبة بينهم، لغرض أخذ أموالهم من محاصيل ثمار الموسم، وفوجئوا بأن منصر بن قملا أنكر لم الأموال (سا مكاذبه لميت لموال) وبعد وصولهم إليه في حورة حصلت بينه وبينهم (مكاذبة) على لم وتجميع الأموال، بمعنى أن كل منهم يحلف للآخر أنه صادق وليس كاذب[٢]، وعند دخولهم عندل حصل لهم ٤٠ حمل وجدوا أن منصر بن قملا قد نهب الثمار (الطعام) الحلال والحرام حق يافع.

كما أن هناك من كان يساعد القائد ناجي بن قملا من غير المقربين من أسرته، بل ومن الحضارم أنفسهم كالقاضي سُبيت، كما جاء تأكيد ذلك في إحدى رسائل بن قملا، بقوله:" أن سعود الله يحفظه مخلِّي ابن قملا والقاضي سبيت في حضرموت، والاثنين مصفين حضرموت"[٣].

ولا يستبعد أن يكون الأمير علي بن قَمْلا الذي ذكره ابن عبيد الله من بين أقرباء

[١] - انظر الوثيقة رقم (٦).
[٢] - حسب إفادة الأخ صالح عبدالله لحمدي القعيطي، من أبناء وادي حضرموت، في إيضاح معنى (مكاذبة لميت لموال)، أي مكاذبة لم الأموال.
[٣] - انظر وثيقة رقم (١).

قادة الحملة وأحد المساعدين لقائدها ناجي بن قملا إلى جانب شقيقه منصر بن مُحَمَّد بن قملا. فضلا عن أحمد بن سالم بن قملة (أي قملا) وعليوي بن حصين اللذان ذكرهما الناخبي كمساعدين لقائد الحملة[١].

كما ارتبط بحملة بن قملا من تأثر بها من الحضارم، ومنهم رجال آل علي جابر – قبيلة حضرمية مساكنها منطقة ساه ووادي ابن علي وهم غير آل علي جابر،القبيلة اليافعية، من سكان خشامر، والأخيرين كانت الصلة مستمرة بينهم وبين الحملة منذ وقت مبكر، بل أن خشامر، موطن آل علي جابر اليافعيين، كانت مركز انطلاقة الحملة، ومن الشخصيات التي وقف إلى جانب آل بن قملا عبدالحبيب بن قاسم بن علي جابر، وقد ورد اسمه مع ناجي بن قملا في رسالة مشتركة باسمهما وجَّهاها إلى جعفر بن مُحَمَّد وعبدالله بن جعفر وغالب بن عبدالله بن الشيخ علي وكافة رُتبة سيئون[٢]. كما تحالف بن قَمْلا مع قبائل من نهد ويافع والشنافر، وعقد معاهدات بعد مواجهات سبقتها، منها معاهدة سنة ١٢٢٢هـ بين منصر بن مُحَمَّد وناجي بن مُحَمَّد آل قَمْلا، وكل من علي بن صالح بن ثابت وعبدالله بن سلطان بن ثابت، وجعلا عبدالله بن سلطان أميراً على الكَسْر، وهناك معاهدة مع آل العطاس بحريضة، وأمّرا من قبلهما عليها السّيد علي بن أحمد العطّاس، ومعاهدة مع السَّادة آل المسيلة.

١ - حضرموت وعلاقتها بنجد، ص ٣٨٧.
٢ - انظر الوثيقة رقم (٤).

المبحث الثاني

مواقف الحضارم من حملة بن قَمْلا

انقسم المجتمع الحضرمي بكل فئاته في مواقفه تجاه هذه الحملة بين طرف مؤيد مناصر لها ومتقبل لأفكارها ومشارك في نشرها، وطرف آخر معارض ومقاوم لها ورافض لأفكارها ومبادئها التي نادت بها، لأنها تعرضت لمعتقدات ترسخت في أذهان الناس ويصعب تغييرها بالقوة، وهناك طرف ثالث كانت مواقفه حَذِرةً من الحملة وقَبِلَ بها على مضض كأمر واقع. ويمكن لنا إيضاح تلك المواقف بتفصيل أكثر على النحو التالي:

الأول: المواقف المؤيدة والمساندة

من الواضح أن حملة بن قملا لم تأتِ بالصدفة إلى حضرموت، أو بدون تهيئة وترتيبات سبقت وصولها. فالثابت أن الدعوة الوهابية قد وجدت لها في حضرموت مؤيدين ممن تأثروا بها منذ وقت مبكر وترقبوا وصولها لقناعتهم بصحة دعوة الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب وتطلعهم لمحاربته ما يرونه من مظاهر الشرك والتبرك بالأضرحة والمزارات. بل أن وصول الوهابية إلى حضرموت– كما عرفنا– كان بطلب من بعض السادة وآل كثير وآل علي جابر بخشامر وعبدالله عوض غرامة بتريم وهم أكثر من تحمسوا لنشرها. كما ناصرتهم جماعات كبيرة حضرمية من قبائل نهد ويافع والنفر الناقمين على الخرافات الصوفية في حضرموت [1].

ويمكننا أن نذكر أهم مركزين رئيسيين لحملة بن قملا وللدعوة الوهابية في حضرموت:

[1] - المختصر في تاريخ حضرموت في ذكر بلدان حضرموت،ص٩١.

المركز الأول خشامر

وسبب ذلك أن آل بن علي جابر في خشامر، هم أقدم وأشد من ناصر الدعوة الوهابية في حضرموت وارتبطوا بها منذ وقت مبكر، حتى أن هذه الأسرة انفردت بمسمى "الوهابية" في حضرموت[١] ويرجع ذلك إلى الشيخ عبدالحميد بن قاسم بن علي جابر، الذي كان أول حضرمي، إن لم يكُن الوحيد الذي قدم عام ١٢٠٥م إلى الدرعية، مبايعاً الإمام عبدالعزيز بن مُحَّد آل سعود في الدرعية، ومناصراً لحركة الإصلاح أو التجديد، كما يسميها البعض، وقدم ببادرة خاصة أجمع عليها القوم في القرية وكان الهدف أن تمتد يد العناية والرعاية والاهتمام إلى بلاد الأحقاف. وقد عقد مع الإمام عبدالعزيز حلفاً يقوم الشيخ عبدالحميد بموجبه بنشر الدعوة في حضرموت وزوده الإمام بمجموعة من الكتب، ثم أعدَّ لاحقاً جيشاً لمساعدته بقيادة ناجي بن مُحَّد بن قَمْلا (وليس بن مشاري)، ويساعده أحمد بن سالم بن قملة (الصحيح بن قَمْلا) وعليوي بن حصين، وعندما دعت الحاجة أرسل الشيخ عبدالحميد يطلب الجيش إلى حضرموت. وفعلاً وصل إليها بن قملا مع أفراد حملته ونزل في (خشامر) مسكن آل علي جابر واتخذها مركزاً رئيسياً له، ومنها كان يرسل رسائله وكذلك انطلاقة الجيش إلى تريم وغيرها. ونفَّذ الجيش مهمته، وهدم القباب

---

[١] - والحق يُقال فإن طرائق الوهابيين كانت واضحة في سلوكهم، فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم عندما يسمعون صوت المزمار خارج خشامر، أما في خشامر فأنه محرم، وكانوا يتأففون من طبع القبلة على يد السيد الشريف المعطرة. وكانوا يمنعون النساء من النواح على الميت، إلاَّ أنهم وبالرغم من كل ذلك كانوا منصفين مع أنفسهم ومع الآخرين منتهجين مبدأ العين بالعين واالسن بالسن. من الحوادث، أن أحدهم ويدعى سالم بن صالح، قدم إلى مدينة شبام فقابله أحد الظرفاء، وبدلاً من أن يقول هذا الظريق: إن مع العسر يسرا، ويواسي سالم، راح يتفكَّه ويندَّر بفقره. وكان سالم بن صالح بن علي جابر، رجل مديد القامة، قوي البنية، جزل العظم، ضخم الكتف، فأرخى يده على رأس الظريف فنزلت كالمطرقة، تُذكِّر المسكين الموتى من أهله والمسلمين. بعدها تحرك وفد من أهالي شبام إلى خشامر، وفي هذه القرية حرى القصاص، فأُحضر سالم وكان صامتاً لا حراك له. لم يقُل شيئاً غير إعتراف منه بأنه أوجع الشاكي. تقرر الإتيان بسالم إلى شبام في اليوم التالي، صاغراً ذليلاً أمام الحق. في اليوم المشهود جلس المُدَّعى عليه أمام المُدَّعي والجمع ينظر إلى شيخ القبيلة الذي أمر المُدَّعي بأخذ حقه، بضربات ينزلها على رأس سالم. ولمَّا تأكد المضروب أنه قوي وذاك ضعيف، عفا عنه واحتضنه. تأثر الجمع من هذا الموقف العادل، الشجاع الجريء.[انظر: بلاد الأحقاف رموز وكنور، سالم عبدالله الجرو، مكتبة التراث الإسلامي، الرياض، ط١، ٢٠٠١م. ص٦٣].

والقبور، وعاد من حيث أتى[١]. ومما وطد العلاقة بين قائد الحملة وأنصاره من آل خشامر أن خرج هؤلاء عن ممارسات زواجهم الداخلي المعتادة، فزوَّج زعيم هذا التجمع اليافعي ابنته لبن قملا زعيم الفرق الوهابية[٢].

ظل التواصل قائماً بين آل سعود وآل علي جابر، أي (بين خشامر والدرعية)، فبعد وفاة الشيخ عبدالحميد، أخذ ابنه الشيخ يحيى عبدالحميد بالمهمة، حيث سافر إلى نجد عام ١٢٢٧هـ والتقى الإمام سعود بن عبدالعزيز الملقب بـ(سعود الكبير)[٣] ليجدد معه ما قد أبرمه أبوه عام ١٢٠٥هـ من معاهدات، وذلك بعد اثنين وعشرين عامًا من اللقاء الأول، وقد جاء اللقاء الثاني ليزيد من أواصر التواصل، ويقوي العلاقات بهدف نشر الدعوة السلفية، إذ كان الوقت حينها مهيأ في حضرموت لمزيد من الانتشار[٤] وقد طلب منه قوة مصحوبة بالدعاة لتقوم بحضرموت بدور الإرشاد[٥].وهكذا كانت "خشامر" أول من ناصر الدعوة الوهابية وغدت منذ ذلك الوقت المبكر قاعدة لانتشار الدعوة الجديدة، ثم كانت بعد ذلك أول محطة وصول وأول مركز انطلاق لحملة بن قملا الوهابية التي اجتاحت مناطق واسع من حضرموت، ومنها تُبعث الرسائل والرسل إلى بقية مناطق حضرموت.

وحتى بعد مغادرة ناجي بن قملا حضرموت ورجوعه إلى الدرعية بعد حملته على الشحر، وانقطاع اخباره، تذكر رسالة تعود لسنة ١٢٢٦هـ أن المشاعل (التناوير) ارتفعت في خشامر فرحاً بوصول أخبار تفيد أن ناجي بن قملا بخير، وأن هناك من شاهده (أبصره) هو وسعود خارجين في الطريق بأربعة ألف مقاتل، وجاء فيها بالنص:" أخبار ناجي بن قملا نفذ إلى الدرعية عقب رجوعه من الشحر ولا عاد ظهر منه لا كذب ولا صدق، ولما ليلة تسع عشر من رمضان علمنا أنها تناوير من خشامر وقبله أحد يقول

١ - حضرموت وعلاقتها بنجد، ص ٣٨٧.
٢ - على حافة امبراطورية- حضرموت، الهجرة والمحيط الهندي،ص ١٧٨.
٣ - لُقِّب بسعود الكبير لأنه جمع بين الحكمة والدهاء والسياسة والعلم.
٤ - حضرموت وعلاقتها بنجد، ص٣١٧- ٣١٨.
٥ - بلاد الأحقاف، ص٦٣.

خطوط ناجي وصلت وانه بخير وكذا ابصره هو وسعود وانه خارج وحد يقول قده في الطريق هو ووجد بن سعود بأربعه ألف ويعلم الله"[١]. وربما تكون تلك التناوير بهدف رفع معنوية أتباعه التي اهتزت أو ضعفت بعد مغادرته وانقطاع أخباره، بحيث لم يُعرف هل هو ميت أم حي، بل ووصول أنباء عن مقتله في الجوف[٢].

وبقي آل خشامر على ولائهم للدعوة، حتى بعد رحيل حملة بن قملا، وظلت طرائق الوهابيين واضحة في سلوكهم، لا يسمعون صوت المزمار خارج خشامر، أما في خشامر فأنه محرم، ويتأففون من طبع القبلة على يد السيد. ويمنعون النساء من النواح على الميت[٣]. وكان بعض الزوار يهددون الأولياء باللجوء إلى آل علي جابر في خشامر، إن لم يلبوا لهم رغباتهم، كقول أحدهم في زيارة "المشهد":

زُوَّار جينا بانزورك يا علي

لي تكرم القاصد وترحب بالغريب

إن شيء كرامة با تقع ذا حِلَّها

والا رجعنا لا قَدَا صالح حبيب[٤]

أي إمّا أن تكرمنا وإلاَّ فإننا سنذهب إلى صالح حبيب شيخ آل علي جابر الوهابيين. وهذا أحدهم جاء إلى الحسن بن صالح البحر، وله ولدٌ مريض، فخاطبه في قبره قائلاً:"وعزَّة المعبود إن لم تُذهب الحُمَّى عن ولدي مُحَمَّد لأصبح في خشامر عند بن علي جابر"[٥].

١ - انظر وثيقة رقم(٨).
٢ - انظر الوثيقتين رقم (٦) ورقم(١٨)
٣ - انظر: بلاد الأحقاف رموز وكنور، ص٦٣.
٤ - القبورية في اليمن، أحمد بن حسن المعلم، ص ٥١٥.
٥ - انظر: تذكير الناس بكلام الحبيب أحمدالعطاس، ابوبكر العطاس، اشرف على طبعه سقاف الكاف مطبعة حسان القاهرة، ص٢٢٠[نقلاً عن: أضرحة حضرموت المقدسة، أبو سعد النشوندلي، ص١٠٠].

المركز الثاني تريم

أما المركز الرئيسي الثاني للحملة فكانت تريم التي لم يكن اختيارها عبثاً، فهي قاعدة حضرموت ومركزها الديني المؤثر ومعقل الصوفية، التي ترى الدعوة الوهابية في كثير من طقوسها المتبعة، كالتوابيت والأضرحة وشواهد القبور والاعتقادات بكرامات الأولياء وغيرها، بدعة وضلالة يجب محاربتها. وما ساعد حملة بن قملا في الوصول إلى تريم، هو وجود أنصار لها ممن تأثروا بدعوتها وأثَّروا في انتشارها ودعمها، وعلى رأسهم حاكم تريم حينها الأمير عبدالله بن عوض غرامة الذي كان ينكر بطبعه غلوّ القبوريين، فوافقته آراء الوهابية وتعصَّب لها، وأكثر التعلُّق بوحيد عصره وفريد دهره، مُقَدَّم الجماعة، وشيخ الصناعة، الذي انتهت إليه رئاسة العلم بتريم، العلامة السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان (توفي بتريم سنة ١٢٤٨هـ)، وهو (وهَّابيّ قُحّ)، وقد اتهمهُ العلويون بأنه هو الذي يُعَلِّم عبدالله عوض غرامة آراء الوهابية ويحثه على الالتزام بها ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتله، فهرب إلى "بيت جُبير" لأن عبدالله عوض غرامة لم يقدر على حمايته بتريم إذ لا يملكها كلها[١].

وحصلت من عبدالله عوض غرامة مساعدات مالية للأمير علي بن قَمْلا كَلَّف بها الرعايا. وهناك وثيقة تذكُر أن نواب وَقْف المحضار باعوا بئرين له ببيت جُبَيْر بثلاثمئة وعشرين ريالاً على سبيل العُهدة في دفع ضرر بن قَمْلا وعبدالله عوض عن مال المحضار[٢].

وأثناء وجود بن قملا وحملته الوهابية في تريم ومكوثه فيها نحو من أربعين يوماً، غرّم الناس ما لا يقدرون عليه، وهدم القباب وهدم القباب وكسر القبور ومنع الذكر والتذكير

[١] - انظر: معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، الصفحات، ٣٥١-٥٣٩-٥٤٠.
[٢] - انظر: معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص٥٤١.

والرواتب وألقى القبض على المناصب وأهانهم وأتلف ونهب كثيراً من خزائن الكتب العلمية، يبالغ كثير من الشيوخ في كثرتها إلى حد بعيد جداً يعلم الله بصحته، وفي تلك الأثناء عاهده عبدالله بن أحمد بن يماني وعبدالله عوض غرامة على أن يكف بعض الأذى عن أهل تريم وأهل قَسَم وما نزل عنهما، على أن يقوموا عنه بنشر الدعاية إلى تجريد التوحيد وتدريس كتب الوهابية، ووفيا له ببعض ذلك حسبما يعرف من أخبار غرامة[١]. وقد قاما خير قيام بنشر مبادئ ابن قملا ومذهبه ومحاربة الخرافات بحضرموت ومَنَعَا الاستغاثة والتوسل بالصالحين مثل قولهم: يا الفقيه المقدم بغينا منك كرامة، يا شيخنا يا ابن سالم، وغير ذلك بعبارة: سبحان من لا يفنى ولا يزول ملكه[٢].

ولتأثر عبدالله عوض بالدعوة فقد تشدد في تطبيقها، ومن عجيب أخباره أن بعض أعيان السادة ركب إلى زيارة هُوْد عليه السلام وبينما هو خارج من تريم وأمامه خُشَارة[٣] من الحالكة ومن لفَّهم يرتجزون بمثل قولهم:" يا شيخنا يا محضار" إذ غضب غرامة واستل سيفه يغمده بطلي زعيم الحالكة، وانتصب لمسادرته بعض السادة آل بن إبراهيم لولا أن السيد عبدالله بن حسين بلفقيه أنقذ الموقف وتدارك الأمر وقال لهم قولوا: سبحان من لا يفنى ولا يزول مُلكَهُ، فارتجزوا بها فَسُرَّ عبدالله غرامة وقال: استغفر الله، وهي كلمته التي يوشِّح بها كلامه[٤].

وحينما انطلقت رصاصة من جند عبد الله عوض فأصابت بالخطأ السّيّد سالم عيديد[٥] سقط على إثرها ميّتا مع البارود أرسل إليهم الأمير عبد الله عوض، في اليوم الثّاني رسالة تعزية يقول فيها: "إنّنا لا نريد ذلك ولا نحبّه، وإنّما كان قتله على غير اختيار

١ - بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوط، ج١،ص ٣٨٣.
٢ - الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف حضرموت، ص٦٦.
٣ - الخشارة : الرّديء من كلّ شيء، والمقصود هنا غوغاء النّاس.
٤ - معجم بلدان حضرموت، ص٥٤٢.
٥ - كان موته صريعا في محرم (١٢٢٩هـ)، وقد كان عالما عاملا ذكيا نبيها صالحا.

منّا، لكنّ شؤم أعمالكم، والتفاتكم إلى غير الله، وعبادتكم للأموات والقبور.. هو الّذي جرّ عليكم المصائب، وسيجرّ عليكم ما هو أعظم". وقيل:إن هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، والله أعلم[١].

أثار الأمير عبدالله بن عوض بن غرامة بتشدده للدعوة الوهابية وترحيبه ومساندته لحملة بن قملا غضب السادة العلويين، المناوئين للحملة وللدعوة إجمالاً، ورغبوا في التخلص منه، والقضاء عليه، فجمعوا له المكايد، وحاربوه بكل وسيلة، وأثاروا عليه آل كثير، بدافع الانتقام الكامن في نفوسهم، وشجعوا محسن بن غالب الكثيري لإعادة أمجاد أجداده التي سلبها منه اليافعيون، ناهيك عن رغبة السادة العلويين في القضاء على الدعوة الجديدة التي أقضت مضاجعهم، وكانت نذير شؤم عليهم وعلى سلطانهم الروحي في تريم ونواحيها، ولهذا لم يعطوا فرصةً لاستقرار حكم بن غرامة ولا امتداده رغم تعاقب أمراء عدة على حكم تريم من آل غرامة[٢].

كما تأثر بالدعوة الوهابية بعض رجال آل علي جابر – قبيلة حضرمية مساكنها منطقة ساه ووادي ابن علي، وهم غير آل علي جابر،القبيلة اليافعية، من سكان خشامر، الذين كانت صلتهم بالدعوة مستمرة منذ وقت مبكر. وتحالف بن قَمْلا مع قبائل من نهد ويافع والشنافر.وعقد عدة معاهدات، منها معاهدة سنة ١٢٢٢هـ بين علي بن صالح بن ثابت وعبدالله بن سلطان بن ثابت ومنصر بن مُحَّد وناجي بن مُحَّد آل قَمْلا، وجعلا عبدالله بن سلطان أميراً على الكَسْر، ومعاهدة مع آل العطاس بحريضة، ومعاهدة مع السَّادة آل المسيلة.

وفي حملة ابن قملا سنة ١٢٢٤هـ عاهد آل النقيب، ولاة تريس، أن يزيلوا تابوت

[١] - معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص ٥٤١.
[٢] - انظر: الموسوعة اليافعية- يافع في حضرموت، تأليف طارق بن سالم سعد الموسطي وآخرون، المجلد الثامن، الجزء(١٢)، دار الوفاق، ط١/ ٢٠١٥م، ص١٤٤-١٤٥.

قبة الحسن بن علي الجفري (ت١١٧١هـ) في القرين – من ضواحي تريس– فأخذوه ووضعوه في مسجد القرين[١].

ومن السادة الذين مالوا إلى بعض آراء الوهابية السيد الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه (ت ١٢١٧ هـ). ومن أدلّة ذلك: أنّه أثنى على قسم وأهلها بقصيدة استهلّها بقوله: (لنا بمغنى قَسَم أهل وإخوان) انتهى بها إلى مدح آل تميم عموما، والمقدّم عبد الله بن أحمد خصوصا، فقال:

لا تنس أولاد روح هم قبائلها ... قد هدّمت للأعادي منهم اركان
فابن يمانيّهم رأس الأسود له ... في الحرب صيت وفي الإحسان عنوان
كم من فتى منهم عند اللّقا فرح ... كأنّ أعداه إذ يغشاهم ضان
كم كسّروا للأعادي منهم قمما ... حتّى غدا حدّهم بالأمن ملآن
جيرانهم في محلّ العزّ عندهم ... كأنّهم في ربوع القوم ضيفان
أقول حقّا بأنّ الله ناصرهم ... لأنّهم لأهيل البيت أعوان

ومما قاله لعبدالله بن عوض غرامة :" نحن وهابيون من أيام مُحَّد بن عبدالله ﷺ الذي جاء بتكسير الأوثان والحنيفية البيضاء"[٢].

ومنهم السيد علويّ بن سقّاف الجفريّ(ت١٢٧٣هـ) وكان كثيراً ما ينزع إلى مشارب الوهابية، ومن أكثر العلويين إعظاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وأوفرهم نظراً في كتبهم يترسم بذلك طريقة شيخه السيد أبو بكر بن عبد الله الهندوان. وكان الحق عنده فوق كل عاطفة، من ذلك أن بعض الوهّابيّة أنكر على آل حضرموت جعلهم ختم المجالس بالفاتحة على الكيفيّة المعلومة سنّة مطّردة، مع أنّه لا دليل على ذلك،

---

[١] - العدة المفيدة، ج١، ص٣٢١.
[٢] - معجم بلدان حضرموت، ص٣٥٣.

وردّ على ذلك السيد طاهر بن حسين بردّ خرج مخرج الخطابة والوعظ، نقضه السيد علويّ بن سقّاف الجفريّ برسالة سمّاها «الدّلائل الواضحة في الرّدّ على رسالة الفاتحة»، ترجم فيها لابن تيمية، وتلميذه ابن القيّم، وللشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب صاحب الدّعوة المشهورة، وأطنب في الثّناء عليهم[١].

ومنهم السّيّد أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشيّ، أحد العلماء المحقّقين، وكان يقوم من مجالس أصحابه ومدارسهم إذا سمع بما لا يوافق مشارب الوهّابيّة، ثمّ صار ينكر عليهم أحيانا بلسانه، ولكنّه لم يصبر حين أنشدوا الأذكار في المسجد على نغمات الدّفوف، ولم يتمالك فنهض لتكسيرها، فضربوه ضرباً شديداً فخرج مغضباً من الحوطة إلى خشامر عند آل الشّيخ عليّ جابر الوهّابيّين وبقي فيها حتى توفاه الله[٢].

ثانياً: المواقف المعارضة والمقاومة

من غير الصحيح أن جيش بن قَمْلا عند انطلاقته من خشامر قد نفَّذ مهمته بدون أن يلقى أية معارضة تُذكر في حضرموت، كما ذهب المؤرخ عبدالله الناخبي[٣]. فمن الواضح أن قدومهم لم يكن يعجب بعض الفئات في الأراضي الحضرمية، التي كانت مستفيدة من وضعها السياسي أو الديني، على اعتبار أن ما يدعو إليه بن قملا يفوت عليهم الكثير من مصالحهم . فقد قاومهم بعض آل كثير الوهابيّة وساعدهم بعض السّادة، وحملوا السّلاح، وجرح السّيّد شيخ بن عبد الله الحبشيّ جرحا خطيرا. ولقيت الحملة معارضة ومواجهات عسكرية، في بعض المناطق، استمرت لأشهركما بيَّنت الأحداث وأوردت المصادر المتاحة. وأدت هجمات الوهابية إلى تحطيم ونهب أجزاء من حضرموت، إلا أنه لا تتوفر معلومات كافية عن تلك الهجمات.

١ - معجم بلدان حضرموت، ص٣٥١
٢ - أضرحة حضرموت المقدسة، ص٩٩.
٣ - حضرموت وعلاقتها بنجد، عبدالله أحمد الناخبي، ص ٣٨٧.

وعلى الرغم من الدعم الموسمي للوهابيين من قبل القبائل الحضرمية وبعض السادة فإن غاراتهم العدوانية أثارت مقاومة قوية بين صفوف السكان. وفي نهاية المطاف تم دحر الغزاة الوهابيين بالقوة. ربما كانت تلك الأحداث وراء إضعاف الأسر الحاكمة في حضرموت فيما أدت إلى تقوية موقف القبائل والجماعات المعارضة[١].

يذكر مؤرخ الدولة الكثيرية ابن هاشم، وهو من أشد أعداء هذه الحملة، أنه في عهد السلطان جعفر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر بوطويرق وصل إلى حضرموت لأول مرة أصحاب "البشُوت" وهم آل بن قَمْلا، بدو من وهابي نجد جفاة الأخلاق غلاظ الطباع وصلوا إلى شبام ولم يتجاوزوها لأن السلطان جعفر لم يمكنهم من المرور إلى أسفل حضرموت، بل ردَّهم من شبام فعادوا من حيث أتوا[٢]. ومع أنه لم يذكر لنا سنة وصولهم وطريقة ردّهم من شبام وعدم تمكينهم من الوصول إلى أسفل حضرموت، إلا أن هذا دليلٌ كافٍ على عدم رضا أو قبول السلطان جعفر بهم أو التعاون معهم وعدم سماحه لهم لبلوغ هدفهم فردهم على أعقابهم. وبما أن السلطان جعفر قد توفي سنة ١٢٢٣هـ فأن تلك الحملة التي ردها قد حدثت ربما في ذلك العام أو العام السابق له.

وجاءت أقوام آل بن قَمْلا، للمرة الثانية إلى حضرموت، في عهد السلطان علي بن بدر بن علي بن عمر بن جعفر. ويُطلق عليهم ابن هاشم (أقوام البشوت)، نسبة إلى لباسهم[٣]، ووصفهم بـ "تتار الجزيرة العربية"، لما أحدثوه من خراب ودمار حيث اكتسحوا القطر الحضرمي بجيش عرمرم من قبائل الدرعية وعاثوا فساداً في الكسر وهينن وحورة

---

[١] - الشتات الحضرمي- تجار، علماء، ورجال دولة حضارم في المحيط الهندي ١٧٥٠- ١٩٦٠م. ترجمة:د.عبدالله عبدالرحمن الكاف. مراجعة:د.عبدالمطلب أحمد جبر. تحرير: ألريكي فرايتاك، وليم كلارنس سميث. تريم للدراسات والنشر. ص٦٤.
[٢] - انظر: تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٥٠.
[٣] - البشت (الجمع: بِشوت) هو عباءة رجالية واسعة.

واضطرت القبائل من نهد ويافع والشنافر إلى محالفتهم، لتجنب شرورهم وأذاهم، واستباح هؤلاء الدرعيون حضرموت بأسرها وسفكوا الدماء، وجاءوا سنة ١٢٢٤هـ إلى المسيلة آل شيخ، وحطوا في الصحراء الواقعة جنوبيها وحصروها ورموا ديارهم بالبنادق، فأجابهم السادة آل طاهر وآل يحيى بإطلاق الرصاص أيضاً، إذ ثار الإمام طاهر بن الحسين، واجتمع حوله جمع من أهل المسيلة وتريم، وتلقب بأمير المؤمنين الحضرميين، وتصدى لقتال ابن قملة[١]، وكان يوزع البارود على الديار بالفنجان لقلته عندهم. واتبعوا الحيلة أو الخدعة العسكرية للتأثير على معنويات المحاصرين من جيش بن قَمْلا، حيث أرسلوا إليهم رجلاً من آل باحبة من اتباع السادة المشار إليهم بعد أن ألبسوه لباس أصحاب البشوت وحمل علماً أبيض فأتى إليهم يسألهم عن مرادهم ويهوّل عليهم قوة هذا الحصن (المسيلة) وامتلاؤه بالذخيرة والمؤن، وانتهى الأمر بالمحالفة ورحيل القوم[٢]. ولأن الحرب خداع، كما يُقال، فأن اللجوء إلى هذا الأسلوب كان هدفه تضليل وإرباك قوم بن قملا وإضعاف معنوياتهم وإفقادهم الثقة بمقدرتهم أمام قوة خصومهم وامتلاكهم المؤن والذخيرة التي ربما نفدت أو كادت لديهم، فقبلوا بالمحالفة ومن ثم الرحيل.

وفي أشعار الحضارمة ومكاتباتهم ما يدل على طول زمان الوهابية بحورة، وأنهم لبثوا بها مدةً ليست بالقصيرة يتجاذبون الحبال مع قبائل حضرموت مصالحةً ومحاربةً، وكان أكثر من يتولاهم من يافع، وأكثر من ينازعهم ناس من آل كثير[٣].

---

[١] - تاريخ الشعراء الحضرميين، مطبعة حجازي، القاهرة، ج١١١/٣. ولم يلبث طاهر بن الحسين أن تخاذل أصحابه وتخلوا عنه. فارتحل بعائلته إلى مدينة (الشحر) وأقام سنوات، ثم عاد إلى المسيلة، بعد انصراف النجديين من حضرموت. وتوفي بها.

[٢] - تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٥٢.

[٣] - معجم بلدان حضرموت، ص٢١٩

مقاومة عينات وخدعة دخولها

تبعد عينات عن مدينة تريم شرقًا بمسافة خمسة عشر كيلومتر تقريبًا. وموقعها عند ملتقى كل الطرق المؤدية إلى قبر النبي هود. وأول من اختطها آل كثير سنة **٦٢٩**هـ،لكنها تعرضت للخراب نتيجة الحروب الواقعة بين آل كثير وآل يماني والصبرات والغِزّ، وقد اندثرت ولم يبق إلاّ آثارها. أما عينات الحديثة فعادت إليها الحياة في القرن العاشر الهجري، وكان أول من بَنَى بها هو العلامة الشيخ أبو بكر بن سالم، الشهير بصاحب عينات أو مولي عينات، لأنه كانت له رئاسة ومشيخة علمية ودينية في بلدته عينات، وتوفي بها سنة **٩٩٢**هـ[1].

وحينما وصلت حملة بن قملا إلى تريم، القريبة من عينات، كانت الأخيرة تحبس أنفاسها وتترقب بحذر مخاطر قدوم بن قملا وجيشه وأخذت تستعد للدفاع عن نفسها أمام أي هجوم مرتقب. وكان مولى عِيْنَات أو منصب عينات حينها الحبيب أحمد بن سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم(توفي سنة **١٢٤٢**هـ). وما أن عَلِم بوصول حملة بن قملا الوهابية إلى تريم حتى استدعى منصب آل الحامد السيد سالم بن أحمد بن عيدروس واتفقوا على الدفاع عن عِيْنَات، كما استدعى من أَطَاعَهُ من يافع وآل تميم، ومن جانبه استدعى منصب آل الحامد من أَطَاعَهُ من الصَّيْعَر والمناهيل. ولمَّا عَلِمت الوهابية وعبدالله عوض غرامة بتلك الاستعدادات للمقاومة والدفاع عن عينات عَمَدوا إلى الاحتيال والخديعة، فَكَتَب غرامة كتاباً للمَنْصِبَيْن وكأنَّهُ الناصح المخلص لهما، يهوّل فيه من قوة بن قملا وكثرة أعدادهم وما قد يتسببون فيه من تخريب، كل ذلك بقصد إضعاف معنوياتهم وخلخلت صفوفهم وإرهابهم معنوياً. يقول في رسالته:" إن ابن قملا وصل بقوم ما تُعْقَل من القِبْلَة وقصدهم

---

[1] - معجم بلدان حضرموت، ص٥٥٥

دخول عِيْنَات، وإن دخلوا يخرّبون قباب مشايخنا ومناصبنا، والأولى أن تصلون أنتم ويكون الاتفاق، احتملوا المشقة في الوصول وهذه منا نصيحة ومحبة وشفقة وما يَشُقّ عليكم يُشُقّ علينا"[١].. ولأنهم كانوا يعرفون محبة غرامة وموالاته لهم فقد اطمأنوا إلى كتابه، ولم يدُر بخَلَدهم أو يرتابوا لحظة بأنه سيخدعهم، وما أن وصلوا إلى تريم حتى ألقوا القبض عليهما وجعلوهما تحت المراقبة، وتم بعد ذلك إرسال العسكر إلى عِيْنَات، وفور وصولهم حذروا أهالي عِيْنَات من أي ردّة فعل أو مقاومة بتهديدهم بقطع رؤوس مناصبهم قائلين لهم:" إن أحدثتم أدنى أمر بعثنا لكم برؤوس المناصب"[٢]. فخاف الأهالي من أن ينفذوا تهديدهم ويمسون المناصب بسوء، وتركوهم يفعلون ما شاءوا، وفرضوا عليهم غرامة ثقيلةً دفعوا فيها حليّ نسائهم. ثم اتفق قوم بن قملا مع المقدم عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن يماني وقدَّم لهم المساعدة بأن فتح لهم الطريق إلى "شِعْب نبي الله هود"، عليه السلام، فهدموا قُبَّته.

وهكذا سبق الحملة، كما رأينا، تهيئة لها بين صفوف الحضارم، وقام المتأثرون بالدعوة الوهابية بدور كبير في نشرها على نطاق أوسع، حتى تمكنوا من اقناع حاكم تريم حينها بن غرامة، واختراق السادة الذين تأثر بعضهم بها على النقيض من غالبية أبناء جلدتهم الذين وقفوا على الضد منها بل وقاوموها بالفكر وبالسلاح أو بعدم الرضا. ولهذا كان الدخول إلى تريم سلساً ودون مقاومة تذكر في عهد حاكمها عبدالله عوض بن غرامة، وهو من أشد المتحمسين لنشر الدعوة الوهابية ومن الناقمين على البدع والخرافات الصوفية، لذلك لم يحتاج جيش بن قَمْلا للمواجهة في تريم ولم يُفسد هناك حرثاً ولا أهلك نسلاً، وإنما هدّم القُباب وسوّى القبور المُشَرَّفة، وحطم التوابيت، ومنع الرواتب والأذكار والتذكير مدة وجودهم، وألقى القبض على المناصب "آل عِيْنَات" و"آل تاربة" وأهانهم، وأتلف قليلاً

[١] -- معجم بلدان حضرموت، ص٥٦٠.
[٢] - معجم بلدان حضرموت، ص ٥٦١.

من الكُتب كثَّرَهُ بعض العلويين كالسيد علي بن عبدالرحمن بن سهل، وخاف أهل تريم فطلب عبدالله بن أحمد بن يماني، وعبدالله عوض بن غرامة اليافعي إلى الوهابيين كف الأذى عن بلاديهما وألا يتدخلوا في شئون أهل تريم على أن يقوما بنشر مبدئهم ومحاربة الخرافات، فأجابوهم إلى ذلك،وعاد الوهابيين راجعين إلى أراضيهم وذلك سنة ١٢٢٤هـ بعد أن مكثوا أربعين يوماً، وقام غرامة وبن يماني بنشر الدعوة إلى التوحيد التي لاقت هوىً من نفوسهم وقبولاً من خواطرهم(١).

رسالة النجدة والشعور بالخذلان

بعد عودة قوم بن قملا من الجهة الحَدريّة أَطْلَق غرامة سراح المناصب. وبعد إطلاق سراحه كان منصب عِيْنَات الحبيب أحمد بن سالم بن أحمد مقهوراً لما حدث من غدر ومكر من قبل من أَمِنَ جانبهم، وكذلك مشاعر الخذلان تجاه من توقع نجدتهم من الأتباع. ويُقال أنه إثر وصوله إلى عينات أرسل ولده أبا بكر إلى جبل يافع، وأتى بأقوام، وأذكى نار الحرب على غرامة، وضيّق عليه الخناق(٢). والصحيح أنه وجه رسالة إلى مشايخ يافع وكافة يافع في المكلا طالباً فيها النجدة السريعة والوصول إليه للتشاور، ثم العتب واللوم حينما أبطأوا على نجدته(٣).

الرسالة موجهة إلى المكلا وخص بها المشايخ: على بن الشيخ ناصر يحيى، وطاهر بن الشيخ عمر، وصالح بن الشيخ محسن بن الشيخ علي هرهرة، والفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر، وسالم بن عوض(.....)(٤) وهادي شجاع، وصالح دينيش، وبوبك(٥)الحطيبي،

١ - انظر: تاريخ الدولة الكثيرية،ص١٥٢. وكذا: معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت،ص ٥٤٠.
٢ - معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص ٥٦١
٣ - رقم الوثيقة(١٤)
٤ - غير واضح في الأصل، أنظر صورة الوثيقة رقم (١٤).
٥ - في لهجة يافع يُستغنى عن الهمزة في بداية اسم "أبو بكر" وعن الراء في نهايته ويُنطق "بُوبَك". كما تُسمى مدينة بني بكر، كبرى مدن يافع "بَنِيبَك" [انظر كتابنا: معجم لهجة سرو حمير-يافع وشذرات من تراثها، ص١٤]..

وحسين أحمد، وكافة يافع في المكلا، وهي جواب على رسالتهم إليه، التي لم تَنَل رضاه ولم تحقق له مبتغاه، ومن الواضح أنه قد توجه إليهم برسالة نجدة واستغاثة قبل ذلك طالباً وصولهم إليه للتشاور حول ما جرى له من قوم بن قملا، ولهذا يتعجب، بل وشق عليه أن يصل جوابهم في بياض، بينما كان يتوقع وصولهم بدافع غيرتهم وحنقهم عليه، وبسبب موقفهم المتخاذل ذلك انتابه القلق والضيق والضنك، لأن المرجو والمتوخى لم يتحقق بوصولهم إليه على وجه السرعة لتبادل الرأي والتشاور بينه وبينهم.

وفي رسالته هذه يعبر عن بالغ أسفه لاستسهالهم ما جرى عليه في عينات، وهم من لم يخذله أو يخذل أسلافه من قبل. ثم يروي تفاصيل ما جرى له ولمنصب آل الحامد السيد سالم بن أحمد من خديعة وغدر ومكر، من قبل (بن قاسم بن علي) وعبدالله عوض بن غرامة، حيث مكنوا بن قملا وناس من الوهابية من الدخول إلى عينات بالحيلة والخداع. يقول عن ذلك:" قربوا بن قملا إلى حضرموت وناس من الوهابية، ولما قدهم تحت تريم قدموا لنا أحد بدفع وغربوا علينا الأحوال، وسقفوا علينا الأمور على غدر ومكر، وطلبوا منا قبل نحنا وسالم بن أحمد[1] على صيانة جهتنا ومن هو في حد لنا ومنزلتنا، ودَفَر علينا دفرة هولا وسادة حضرموت وغير واحد من طرفنا وغربوا علينا، وقدموا لنا ونكروا لنا السيد سالم بن أحمد ينفذ وقمروه بحال، وقالوا ما تقصرون منه وقابلوا لانفسكم ومطلب الجميع خضع جاه اسلافنا وجاهنا ومنزلتنا ولما......انقلب علينا الأمر والكلام وصار الاشتراء والبيع فينا وفي جهتنا وفيكم وكلا يرا له مطلب وبلغوا سعفهم ومطلبهم وصار علينا أمر كبير وشنيع ومجري عظيم فظيع".

ثم يستعرض ما حدث له من معاناة حينما وقع بين أيديهم وأودعوه السجن مع منصب آل الحامد السيد أحمد سالم، ولم يجد بجانبه أحداً، وخاصة يافع التي كان يعوّل

[1] - منصب آل الحامد السيد سالم بن أحمد.

عليها باعوه وباعوا أنفسهم بأبخس قيمة، كما يقول، وحتى وهم في الحبس امتنع عنهم الجميع، يافعي وقبيلي وسيد، وتركوهم فريسة لقوم بن قملا. يقول بالنص:" ولما قدنا صرنا بين ايديهم في حبس لجرم علينا الأحوال نحنا وسالم بن أحمد وصار فينا المشترى ولا دركنا حال ولا لقينا أمر ودهفنا ويافع باعونا وباعوا أنفسهم ببخس قيمة في العار والنار ولما قدنا مقابيض عندهم وكلاً منع نفسه يافعي وقبلي وسيد يتسمعون ولا أحد درَّك علينا ولا تكلم معنا كلام ولا معاونة".

وتحدَّث في رسالته بمرارة عما جرى لعينات واللسك وأهل البلد والسادة، بعد الاستيلاء عليها من جيش بن قملا، حيث حتموّا عليهم دفع تسعة ألف قرش، ونهبوا الأملاك والأموال والأسلحة (الأسلاب)، ولم تسلم حتى فرش الحريم، يقول:" حتموا علينا حتمة واستولوا علينا وعلى جهتنا وأسلافنا وحتَّموا على جهتنا وأملاكنا تسعة ألف قرش على عينات وقرية اللسك والسادة وأهل البلد، ونحنا وصلوا على الأموال وفرش الحريم وأسلابنا وبلغوا شفهم ومطلبهم الجميع وعاد نحنا عندهم واستولوا علينا".

وفضلاً عن معاناته مما حدث لهم من قوم بن قملا، وهو أمر مقبول من خصوم كان مستعداً لقتالهم، لولا خديعة دخولهم إلى عينات وإهانة منصبها ثم إيداعه السجن وإطلاق سراحه فقط بعد أن حققوا هدفهم ونهبوا الأموال والأملاك وغادروا البلاد. ولكن ما آلمه أكثر هو خذلان الجميع له من المقربين والأصحاب ممن انتظر نجدتهم وغوثهم له بدافع الغيرة والحمية، فلم ينقذه أحد ووجد نفسه يجتر غضبه وحيداً ولا حيلة له، بل ولم يسلم بعد رحيل الوهابيين من مضايقات آل غرامة، يقول:"ولما تمُّوا مطلبهم وشَفّهم الجميع الظاهر والباطن فينا وفي أسلافنا وتخليص الدراهم افتكينا وانتظرنا وناظرنا تُغِيْر نُقذَة أو غِيْرة أو حميّة أو قُرْبَاه أَبْ عن جد أو صُحبة أو محبة أو مجالسة ولا أحد لحظ علينا ونفذوا الجميع من حضرموت، وصبرنا في بيتنا...علينا الأمر وصار بن عوض غرامة يبلغ شفه

ومطلبه ومركز تراكيز منه، وهو مركز من الغير ومن نفسه وسالم غرامة خرج في حصنه ولبعوس مع بن عوض وباعوا أنفسهم وباعونا".

ويبدو أن أذى آل غرامة لصاحب عينات لم يتوقف،بل ربما زاد عن حدّه، كما نستشف من محتوى رسالته، ولذلك نجده يتوسل إليهم لنجدته وسرعة وصولهم إليه على قطر الليل صباح رمضان، طالما جميعهم في حضرموت، للتشاور وتبادل الرأي، يقول :" ومنتظرين غارة الله ونصرة الله تعالى وجاه السلف ونُقذه وغِيْرِه ومحبة أو ترباه مرد العوجا منا والصيانة منا، ومن جهتنا لأنه معوج السمحا علينا، وأنتم المحبين الخلاصة زيادة القصد وصولكم على قطر الليل لشور ورأي وجبر بيننا وبينكم لا تعصيه الا من الناس، الله الله الدَّرك الغارة الدَّرك بحلس، والا مثل نحنا وأنتم من حضرموت تصلون في الحال مبادرة صبوح رمضان وأنتم عندنا".

يكاد مضمون هذه الرسالة ينحصر في الشكوى مما جرى ويجري، وطلب النجدة والنُّصرة، التي يكررها مراراً بصيغ خاصة مألوفة ومعروفة ولها وقعها المؤثر لدى المتلقين، مثل (الله الله)، (الدّرك الدّرك)، (يا دَرَكَاه يا دَرَكَاه)،(يا غارتاه الغار)، (الحذر الحذر)، يقول حاثاً إياهم على الخروج والمسير الليل والنهار مع من خرج من طرف النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي، حاكم المكلا:" صدر عاني إليكم، الجواب يُرسل تسيرون الليل والنهار ومن خرج من طرف المحب النقيب عبدالرب، الله الله في وصولكم في الحال مباردة، الدّرك الدّرك يا دَرَكَاه يا دَرَكَاه يا غارتاه الغار الله الله اللوم عليكم لنا المعورة عليكم".

ويختتم رسالته بحثهم على التفاهم وبالدعاء لهم، وينذرهم بعدم التخلف، ومن تخلف فلومه على نفسه وستتصرف فيه القدرة الإلهية ويهلك حاله وماله، ويحذرهم من المخالفة بقوله:" المخابرة بالتفاهم الله الله بارك الله فيكم، ومن خلف لومه من نفسه والقدرة تصرف

فيه ويهلك الحال والمال، والله أكبر عليه،كونوا حذرين، الحذر الحذر المخالفة، تبغون أنفسكم منا، كونوا على حذر ومن خالف لومه من نفسه والظن الجميل فيكم زيادة".

وهذه الصيغة التقليدية للتحذير تتكرر في رسائل سادة عينات بحكم تأثيرهم الروحي على أنصارهم ممن يعتقدون ببركتهم ويخشون مخالفة طلبهم ويتعلقون بهم وبسلفهم الإمام الغوث الشيخ أبي بكر بن سالم. ويبدو أن سقف هذا التأثير قد انخفض، بدليل عدم التجاوب السريع مع طلبه، كما يوضح في رسالته بأنه بقي وحيداً يواجه ما جرى له. وأقول لو أن لهم تأثيراً في نفع الناس أو في دفع ضرر أو خطر عليهم، لكان الأولى بهم دفع وإبعاد خطر حملة بن قملا عن أنفسهم وما لحقهم بسببها من غبن وإهانة وسجن ونهب لأموالهم وممتلكاتهم.

المواجهات مع قبائل وادي عمد

من أشرس المواجهات التي جرت بين ناجي بن قَمْلا وجيشه من جهة وبين آل العطاس وقبائل وادي عمد من جهة ثانية بقيادة السيد علي بن جعفر بن مُحَمَّد العطاس في موقعة (بحران)، وهي أرض منبسطة قريبة من مدينة حريضة بحضرموت عام ١٢٢٤هـ. وحسب رواية سالم بن سليمان بن حمد الجعيدي– أحد قواد جيش المنطقة في تلك الحرب– فأن السيد علي بن جعفر العطاس هو الذي تولى القيادة العامة للجيش المكون من قبائل الجعدة والسادة آل عطاس، حينما هاجم ناجي بن قَمْلا، حريضة ووادي عمد بعد أن استولوا على أسفل حضرموت وحبسوا علماءها وعظماءها في مصنعة حورة، ولما كانت حريضة هي العاصمة اجتمعت فيها قبائل الجعدة والسادة آل عطاس.

وكان عادة أهل حضرموت كغيرهم من العرب أن الجيش يهاجم العدو دفعة واحدة، ويهاجم كذلك، فلهذا يسري فيهم الضعف إذا طال عليهم أمد القتال، فخَيَّرهم السيد علي بن جعفر العطاس بين أن يكون الدفاع على قواعدهم أو يولونه القيادة، فارتضوا أن

يكون هو القائد العام. فأمر أولاً بإرسال النساء والصبيان إلى وادي عمد، ثم مشى بنفسه على جميع البيوت التي في حريضة وضبط ما فيها من الأطعمة لأجل تموين الجيش، ثم جعل الجيش ثلاث فرق، الأولى قلب الجيش والثانية جناحه الأيمن والثالثة جناحه الأيسر، وعرّفهم كيف تكون مواصلة الفرق لبعضها، وجعل خط الدفاع من غمدان إلى الطويل "أي من الجبل الشرقي إلى الجبل الغربي" وتقلَّد هو بندقه المعروف بـ"المظفري" المشهور بالإصابة وجعل مركزه الفرقة الأولى، المكونة من السادة آل عطاس وقبيلة آل سِلِمةْ من الجعدة، وهم سكان أواسط وادي عمد، كما أنه جعل قائد الفرقة الثانية المكونة من آل مِحِمّدْ بن حمد الجعدة سكان أعلى الوادي السيد عيدروس بن صالح بن عبدالله بن سالم بن عمر بن الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم "وليد عَمْد ودفينها"، وجعل السيد عبدالله بن طالب بن الحسين بن عمر العطاس "وليد حريضة ودفينها" قائداً على الفرقة الثالثة المكونة من آل عِلْ بن عبدالله الجعدة وهم سكان تبرعة من أسفل وادي عمد. وهكذا جعل السيد علي بن جعفر العطاس على كل قبيلة من تعتقده وتحترمه من السادة المتقدم ذكرهم،وفي ذلك الإجراء ضمانة لولاء المقاتلين وسهولة تنظيمهم وتنفيذهم لأوامر قادتهم دون تردد. وهذا ما كان فما أن ابتدأ أتباع جيش بن قَمْلا يهاجمون الثكنة الأولى من خط الدفاع بأجمعهم وحمي الوطيس بين الفريقين فلما كادوا يخترقونها بعد التعب الشديد حتى جاء المدد بالجنود النشيطة، وهكذا استمر القتال على تلك الحال ستة أشهر حتى انهزم بن قَمْلا شر هزيمة.

وحينما بلغ خبر هجوم بن قَمْلا على بلد حريضة إلى المقدم عمر بن علي باصليب المشجري حشد ثلاثمائة رامي من قومه آل باصليب، سكان حالة باصليب والمعقل بوادي عمد، واتجه بهم لنجدة السادة آل عطاس وقبائل الجعدة، وفرحوا بهم، وشكرهم السيد علي بن جعفر على غيرتهم ونجدتهم، وطلب منهم العودة إلى منازلهم لقل المؤن في

حريضة التي لا تكفي للجميع، وأكَّد لهم القدرة على مواجهة العدو للدفاع بمن لديه، وإذا دعت الحاجة فسوف يرسل بطلبهم. قدَّر المقدم عمر بن علي باصليب الموقف وأدرك أهمية تزويد الجيش بالمؤن اللازمة للصمود، وحينما رجع وأصحابه إلى وطنهم أمرهم أن يأتي كل واحد منهم بجراب من التمر فجمعوا ثلاثمائة جراب على عددهم وأرسلوها إلى حريضة مساعدة منهم في تموين الجيش.

ولإطلاق سراح الأسرى الذين حبسهم بن قَمْلا في مصنعة "حوره"، كتب السيد علي بن جعفر كتاباً إلى "ريدة الصيعر" مستنجداً، فلبى دعوته المقدم بن رميدان، والحكم سليمان بن جربوع في خمسمائة رامي من قومهما آل عَلْ بالليث، يقود آل عَلْ بلَّيث بن رميدان وآل حاتم بن جربوع، وفعلا هاجموا مصنعة حورة، وقد بدأ أثر الضعف يدب في جيش بن قَمْلا وذلك حينما ابتدأ مُحَمَّد علي باشا، والي مصر، صراعه مع قيادتهم، وتمكن الجيش الصيعري من احتلال حورة، وأطلق الأسرى منها بأجمعهم. وأهل حضرموت يسمون جيش بن قملا، في هذه الحرب " قوم بن قملة" باسم قائدهم العام ناجي بن قملا[1].

ويذكر ابن حميد أنه في سنة ١٢٢٤هـ كان وصول بن قَمْلا الوهابي وجيوشه من قبائل الدرعية إلى الجهة الحضرمية واستولى على الكسور مثل هينن وحورة وحواليهما ومعه قاضيه سُبَيْت، وفي ذلك الوقت كان المعلم عبدالله بن سعد سمير قاضياً بهينن من زمن السلطان جعفر بن علي، فبقي هناك فقربه ابن قملا وتحبّب إليه وهو عَرَفَ الطبع لما جبله الله من العقل والعلم وسار من الزمان وأهله ويدعو المطوع، وصالح ابن قملا القبائل يافعي ونهدي وشنفري وحبسوا له، وهدم غالب رؤوس القبب المبنية على القبور حتى بلغ إلى قبة نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام. ووقع من أقوامه السفك لدماء

---

[1] - انظر: صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت، الصفحات ٨٧-٨٨- ٨٩ (بتصرف).

المسلمين، وانزعج بسببه البلاد والعباد إلى غاية أن أهل السّواد والخلا "يعني الفلاحين" انتقلوا إلى البلدان والحصون، خوفاً من جيوشه (وتعديهم الحدود)، إلا كما علمنا أن الشريفة نور بنت الحبيب الحسن بن علي الجفري صاحب القرين امتنعت من الطلوع من القرين، مع أخيها الحبيب مُحَّد الأمين، وبقيت وحدها في المكان، وهي من الكبار، لحتى أن جيوش المبتدع(أي بن قَمْلا) لم يقدروا على الوصول إلى القرين لهدم رأس قُبَّة والدها، ثم أنهم عاهدوا يافع آل نقيب "ولاة بلدة تريس" أن يأخذون التَّابوت من على قبر صاحب تلك القبة فأخذوه، ووضعوه في مسجد المكان، لحتى صفيت الجهة منهم، ورجع هو وجيوشه إلى نحو أرضه[1].

ولا شك أن مثل هذه الأحداث العاصفة والمواجهات التي شهدتها حضرموت مع قوات بن قملا قد تصدَّرت الأخبار التي يتبادلها الحضارم، وكان لها صداها في نفوس غيرهم في المناطق الأخرى، وعلى وجه الخصوص في يافع لعرى العلاقة الوثيقة التي تربطها بحضرموت،حتى أننا نجد في رسالة شخصية تعود لسنة ١٢٢٤م لشخص بعث بها من لحج إلى يافع يطلب فيها من نائب الشرع الفقية عبدالحبيب بن أحمد حيدر أن يحقق له ما صفي لديه من جهة بن قملا[2].

وعند ما عاد الوهابيون سنة ١٢٢٦هـ اجتمع رأي العلويين بالجهة القبلية على مبايعة السيد الحسن بن صالح البحر فتقدم بمن بايعه لصد عاديتهم إلى غربي شبام وكسرهم أشنع كسرة وألحق بهم خسائر فادحةً فعادوا أدراجهم، وطُعِنَ في تلك المعركة السيد شيخ بن عبدالله بن أحمد بن زين الحبشي فحملوه إلى السيد الحسن ووجهه يغذو دماً وهو في آخر رمق فأكرمه الله بالسلامة بعد قراءة الحبيب عليه شيئاً من آيات القرآن[3].

---

[1] - انظر: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، ج١، ص٣٢٠-٣٢١.
[2] - انظر الوثيقة رقم(٥)، رسالة من عبدالحبيب بن صالح حسين الشعموطي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر
[3] - بضائع التابوت، ج١، ص٣٨٤.

وفي رسالة تعود لسنة ١٢٢٦هـ تذكر أن الدولة ونهد (حاطين على بن قملا)، أي شدَّدوا عليه الحصار في حصن حورة الذي لجأ إليه[١]. وفي تلك المعارك التي دارت رحاها في وادي حضرموت بين الوهابيين وقبائل حضرموت كان النصر فيها حليف الحضارم وانهزام الوهابيين[٢]. وبعد ارتفاع أصحاب ابن قملا عن حوره .. استولى عليها عمر بن جعفر بن صالح بن مطلق، من آل عمر بن جعفر آل عمد، ثمّ ولده جعفر، ثمّ ولده صالح، ثمّ ولده مقبل بن صالح.

كما تذكر الروايات الأسرية للسادة آل الحامد في عمد عن حملة الوهابيين بقيادة قملا الملقب "هدهد"، والتي تحركت إلى الغرب من ناحية تريم(١٢٢٦هـ/١٨١١م)، وكان عددهم كثيراً جداً، من بدو نجد والحجاز. وكانوا يبغضون السادة وجميع القرشيين، وهدموا القباب وأحرقوا التوابيت والمخطوطات. وقد جمع منصب آل الحامد السيد عيدورس بن صالح القوات في وادي عمد وتحرك بها للمواجهة، وتمكن من هزيمة وتشتيت جحافل "الهدهد" بالقرب من حريضة، عند جبل غمدان، أما نهد والصيعر فأجهزوا عليهم ولم ينجُ من الموت إلا بضعة أشخاص فقط، وتؤكد الأحاديث مع السكان المحليين، أنه قد حدث في الوعي الاعتيادي امتزاج الإباضيين والوهابيين في المثال السيء هُدهد بن قملا [٣].

ويوجد منتصف الجبل الّذي بجنوب الغرفة بقايا مخفر يقال له : كوت ابن قملا، وقيل: إن ابن قملا استولى على الغرفة وابتنى ذلك الكوت ليأمن به عادية آل كثير. وقال آخرون : إنّما بناه آل كثير ليكون حاميا لهم من شرّه. والحقّ أن لا تخالف ؛ لأنّ

---

١ - الرسالة من علي سعيد ناصر إلى عبدالحبيب أحمد حيدر ووالده سعيد ناصر وأخيه سنة ١٢٢٦هـ من بلد سيئون، جهة حضرموت، بعد السلام يقول:"أخبار الأرض صالحة وساكنة، وأخبار الدولة ونهد الحين انهم حاطين على بن قملا وعامد حصن حورة، ويعلم الله ما يقع بينهم".

٢ - إمارة آل بن بريك في الشحر(١١٦٥-١٢٨٣هـ/١٧٥١-١٨٦٦م)، ص٦٢.

٣ - عادات وتقاليد حضرموت الغربية، ص٦٩-٧٠.

ابن قملا إنّما يصول في جهة آل كثير بهم ..فهو وإيّاهم ومن تابعه من غيرهم يد واحدة[١].

المناهيل ونهب وقتل قوم بن قملا

نشير هنا إلى أن مسألة الغنائم هي من المسائل المحفزة للجيش غير النظامي الذي تقوم عليه الدعوة الوهابية في نشر نفوذها، وكان جميع الرجال ما بين سن الثامنة عشرة والستين ملزمين بالخدمة العسكرية، والاشتراك بالحروب والغزوات، وكان كل محارب يحمل معه سلاحه وذخيرته وطعامه، ولا يستلم راتباً محدداً، بل يعوِّل على استلام حصته من الغنائم، فبعد اقتطاع خمس غنائم الحرب لصالح أمير الدرعية يُقسَّم الباقي على المحاربين[٢].

ولا شك أن مثل هذا الأمر قد اتبعته حملة بن قملا في حضرموت، وتجلى بصورة واضحة في نهب أموال تريم وعينات، وفي أثناء عبور الوهابيين من تريم سنة **١٢٢٦هـ** في طريق عودتهم في الجبل الذي بين السوم وعصم، وهو غير طريق مجيئهم بالطريق الغربية، وكانوا محملين بما غنموه من حضرموت تسامعت المناهيل بما غنموه من أهل تريم وسيئون وغيرها فجمعت جموعها ومن أطاعها من المهرة والحموم وغيرهم من البوادي واعترضتهم في آخر حدود حضرموت وأخذتهم على غرة وأخذت جميع ما معهم وأثخنت فيهم قتلاً حتى لم ينجُ منهم إلا القليل، أما من بقي منهم بحورة فهم غير من رافق هذه الكتائب المنهوبة[٣]. وهناك من يقول أن بعض من بقي منهم عاد إلى حورة وأقاموا فيها[٤].

١ - معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص ٣٤٥.
٢ - تاريخ العربية السعودية، فاسيلييف، ترجمة: خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م،ص ١٥٩-١٦٠.
٣ - بضائع التابوت، ج١، ص٣٨٣.
٤ - انظر: في جنوب الجزيرة العربية، صلاح البكري. ص ١٤٠.

ثالثاً: المواقف الحذرة من الحملة

من الجلي أن حملة بن قملا تركزت في البدء وبشكل رئيسي في وادي حضرموت، وظل الساحل الحضرمي بعيداً عنها، وأن لم يغب عن أعينها واهتمامها، حيث وضعته هدفاً لاحقاً لها بعد استتباب أمورها في وادي حضرموت حيث يتواجد تأثيرها وأنصارها ممن ارتبطوا بالدعوة الوهابية منذ وقت مبكر.

وفي زمن حملة بن قملا كانت في الساحل الحضرمي إمارتان يافعيتان، الأولى الإمارة الكسادية (١١١٥–١٢٩٩هـ/١٧٠٣–١٨٨١م) وحاضرتها المكلا، والثانية إمارة آل بن بريك (١١٦٥–١٢٨٣هـ/١٧٥١–١٨٦٦م) في الشحر. ورغم النزاع القائم بينهما وسعي كل إمارة للتوسع على حساب الإمارة الأخرى، إلا أن التوجس والريبة من خطر حملة بن قملا كان قائماً لدى كل منهما، وبُذلت جهود من رجالات الإمارتين بغية توحيد صفهما لمواجهة الخطر القادم الذي لن يفرق بينهما ولن ينجو منه أحد.

ومثل هذه المساعي تكشف عنها للمرة الأولى الوثائق والمراسلات التاريخية التي حصلنا عليها وتعود إلى تلك الفترة وتنشر لأول مرة. ومنها رسالتان[1] تعودان كما يتضح من مضمونهما إلى قُبَيْل وصول حملة بن قملا إلى الشحر سنة ١٢٢٤هـ، وتحديداً حينما بلغت الحملة عقبة (عبدالله غريب) قادمة من وادي حضرموت في طريقها إلى الساحل الحضرمي، والرسالتان متبادلتان بين شخصيات اعتبارية ذات تأثير ومقربة إلى حُكَّام الإمارتين الكسادية في المكلا والبريكية في الشحر.

الرسالة الأولى صدرت من بندر الشحر، حاضرة آل بن بريك، من عبدالله بن يحيى حسين هرهرة، وهو مقرب من الأمير ناجي بن علي بن بريك، بعث بها إلى بندر المكلا، إلى ابن أخيه علي بن ناصر بن يحيى بن ناصر هرهرة والفقيه عبدالحبيب بن أحمد بن

[1] ـ من محفوظات الأخ ناصر علي محمد الفقيه بن عزالدين البكري، وتُنشر الرسالتان للمرة الأولى.

حيدر وعبرهما إلى حُكّام الإمارة الكسادية في المكلا، ويلفت الانتباه إلى أنه لا بد قد بلغهم وصول بن قملا إلى عبدالله الغريب وأن هدفه كما قال:"أن يوكِّل قوة من أهل البنادر ويَرِجَّ بهم في بعضهم البعض (أي يقتل بعضهم بعضا) وبا يهلك الناس".ويذكرهم بما قام به بن قملا من قَبْل من اعتداء على قبة الشيخ أبي بكر بن سالم والحبيب حسين وحبس الحبيب أحمد بن سالم (منصبنا وقبلتنا، والشيخ أبوبكر بن سالم، شيخ يافع وحبيبهم الجميع) كما يصفهما في رسالته. مؤكداً أن بن قملا ما وصل إلاَّ على بلدان يافع وحبابيهم وأما الكثيري رَدَّ من نفسه(أي لم يمسه بأذى). ويطلب منهم التفاهم مع حاكم المكلا النقيب عبدالرب الكسادي لقيام تحالف أو عصبة من أهل البنادر(يقصد الشحر والمكلا) بحيث لا يكون قبول أو تعاون مع بن قملا، ووعد بأنه سيعمل كذلك مع بن بريك الذي يحصِّن الشحر بمراتب عسكرية، وإذا ما قُبضت الشحر والمكلا فلن يجد بن قملا مدداً وسيفشل في نهاية المطاف، أو كما جاء بالنص:" إن عرفتوا سادتي إن شي عُصبة ومِسْعِدِة با تقع عليه (أي حلف ضد بن قملا) من أهل البنادر مرادنا تخابرون النقيب عبدالرب لا يكون قبول له ولا ماده واليد ماخذه عليه فنحن با نعصب بن بريك ونشل كلام عليه وقده مقوّي الشحر مراتب وإذا قبضت الشحر والمكلا ولا له ماده تاليه يضمحل". وأكد أنهم من جانبهم لن يألون جهداً في التحشيد بعد ما حدث من تكسير لقباب عِيْنَات وحبس الحبيب أحمد سالم. وطلب منهم أن يبلغوه إذا ما عرفوا أن هناك رغبة لعُصبة وائتلاف سيكون بين النقيب عبدالرب الكسادي وناجي علي بن بريك ضد بن قملا.

والرسالة الثانية حملت الرد السريع من قبل علي بن ناصر بن يحيى بن الشيخ علي هرهرة والفقيه عبدالحبيب ابن أحمد حيدر، في جواب بعثاه إلى الحبيب شيخ بن عبدالله بن أحمد آل الشيخ أبي بكر بن سالم وكذلك السلطان عبدالله ابن يحيى بن حسين ابن الشيخ

علي هرهرة في الشحر، وهما من ذوي المكانة لدى آل بن بريك، تشير الرسالة الجوابية إلى خبر وصول بن قملا ومن معه إلى البنادر(الموانئ) وطمعه في أن يفتن بين أهالي البنادر (با يرج في بعضهم البعض) وأن هناك من أوعز له ذلك وهو ما لا علم لنقيب المكلا الكسادي به ولا يرضاه، وجاء بالنص:" إن الوالد النقيب عبدالرب بن صلاح(حاكم المكلا) ما عنده علم ولا هو راضي، والله الشاهد قوله تعالى: إن من أموالكم وأولادكم فتنة، وصار بن قملا يتابع قبصات يافع وهتك مناصبهم سبب رضا بعضهم البعض ولا أحد قام في وجهه، والتالية (في الأخير) عاد معه الشحر والمكلا واعلموا ان قام لهدته (لمواجهته) بن بريك فهو لها أهل وقصد نحوه وان هو الكسادي، وكذلك فإن الله با يهدي وبايقدر صالحت أحوالهم وصارت اليد واحده وعسى الله يؤلف بين قلوبهم".

ويتضح أن تلك المساعي المبذولة لتوحيد الجهود بين الكسادي وبن بريك قد جاءت متأخرة أو في الوقت الضائع، كما يُقال، لأن حملة بن قملا قد كانت حينها في الطريق إلى الساحل، أي أنها قد بلغت حينها (عقبة عبدالله غريب)، في طريقها إلى الشحر، ولذلك لم تثمر تلك الجهود في توحيد جهود آل الكسادي وآل بن بريك في جبهة واحدة تقف في وجه بن قملا وتمنع وصوله إلى الساحل.

المبحث الثالث

وصول الحملة إلى ساحل حضرموت

وموقف البريكي والكسادي منها

موقف آل بن بريك

مع اقتراب حملة بن قملا من الشحر، الميناء البحري الهام على الساحل الحضرمي، الذي كان يحكمه أمراء بن بريك بُذلت جهودٌ حثيثة، كما أسلفنا، لتوحيد الصف الكسادي والبريكي لصد حملة بن قملا قبل وصولها إلى الساحل الحضرمي، ولكنها فشلت. كما أخفقت أيضاً محاولة بن بريك طلب النجدة من يافع وآل كثير من حضرموت الداخل لنجدته بأسلحتهم ومؤنهم، إذ تفيد رسالة مؤرخة ١٥شعبان سنة ١٢٢٤هـ، في معرض ذكرها لأخبار الشحر أنه وصل كتاب من النقيب ناجي بن علي يذكر أن القوم في الشحر ثارت حميّتهم، وأنه استنجد بيافع، بداعي قبلي، ومراده صد بن قملا ونهد، وأنه طلب وصولهم بزاد ومزناد وملح وباروت ورصاص ورجال من يافع وأهل كثير، وقد رحب بطلبه آل يافع، ولم يستجب أهل كثير[1].

وبعد أن أخفقت مساعي آل بن بريك لم يكن أمامهم سوى القبول بقدوم الحملة،

[1] - انظر وثيقة رقم (٦). جاء فيها:"وأخبار الشحر وصلت من النقيب ناجي بن علي كتاب ويذكر أنه حصل في الشحر غيار من القوم وصيحت إلى يافع، مرادي كفا لبن قملا ونهد والداعي قبيلي، وأنا مرادي شوركم واصلين بزاد ومزناد وملح وباروت ورصاص ورجال ومرادي ناس من يافع وأهل كثير، يافع رحبوا وأهل كثير افتشلوا".

كأمر واقع، لتجنب شرّها ودون الدخول معها في مواجهات حربية أو صدام عسكري، لا سيما بعد أن اطمأنوا أن مهمة الحملة تقتصر على إزالة القباب وشواهد القبور ونحو ذلك مما يراه أتباعها من البدع والمنكرات، ولن تقوم بأعمال استفزازية أو انتقامية ضد الأهالي، أو الحكام المحليين ولن تدخل معهم في مواجهات أو حروب مثلما حدث في مناطق الكسر وهينن وحورة والمسيلة وحريضة..الخ.

الحملة الأولى على الشحر (برية)

شهدت الشحر حملتين، في عهد الأمير ناجي بن علي بن ناجي بن بريك، الأولى قدمت بَرًّا، من ناحية القِبْلَة على راس جماعة من قبائل نجد الوهابيين رجلٌ يقال له ابن قَمْلا، ويسميه البعض القائد أحمد بن سالم بن قملة[1]. وكان أول قدومه، في جماعة من أصحابه رجالاً وفرساناً، سنة ١٢٢٤هـ إلى بلدة (شكلنزة) التي تقرب من "الحوَّا"[2]، وهي من متعلقات الشحر وضواحيها– ومعناها "الشكل النّزه"– لأن بها زراعة حسنة وبها بعض المياه من بقايا السيول التي تمر بها وتحتفظ به في شبه منبع لسقي الزراعة. وأقامت هذه الفرقة العسكرية معسكرًا لها في منطقة الخور، للانطلاق منها إلى الشحر لمّا بلغهم أن بالشحر من الخرافات التي يلصقها بعضهم بالدين ما يشابه ما كان موجوداً في تريم، ولكنهم– كما يقال– لم يهدموا شيئاً من القباب في الشحر[3]. وقيل أنه تقدم إلى الشحر أحد رجال بن قملا وكان أميراً متنكراً متجسساً واسمه فارس بن مُحَّد، فلقيه رجلٌ من قبيلة بيت شنين وطعنه برمح فقتله ودُفن بتربة الشيخ فضل بالخور .ثم تدافعوا إلى الشحر خفية متسللين حتى تكاثروا بها ولم يحصل أي اصطدام بينهم وبين أحد ولم يصب أي شخص منهم بسوء أو أذى، وكانت عقيدة هؤلاء انكار التوسل بالأولياء ومحاربة تجصيص القبور

---

[1] - حضرموت وعلاقتها بنجد، ص ٣٨٨

[2] - الشحر عبر التاريخ، ص٥٤.

[3] - المختصر في تاريخ حضرموت،ص٩٢.

ووضع التوابيت على ضرائح المعروفين بالصلاح وإقامة القباب عليها[١]. ثم عاد الوهابيون إلى نجران مارين بالعبر، والوهابيون هم الذين حفروا بئر عساكر المشهورة في الأطراف الشرقية لرملة السبعتين، وهم الذين مهدوا الطريق المعروفة بدرب الأمير (قائد الجيش الوهابي) الواقعة في منطقتي قبيلتي الصيعر ودُهُم في أطراف الصحراء[٢].

الحملة الثانية على الشحر (بحرية)

وكانت أيضا في عهد الأمير ناجي بن عليّ بن ناجي بن بريك، سنة ١٢٢٦هـ، عن طريق الباطنة شرق مدينة الشِّحْر، في خمسٍ وعشرين سفينة تحت قيادة ابن قَمْلا بأمر الملك عبدالعزيز بن سعود آل سعود الذي استفحل سلطانه لذلك العهد فافتتح نجداً والإحساء والعروض والقطيف والحجاز وغيرها، وقد دخلوا الشحر دون أن يؤذوا أحداً في حال ولا مال، ولم يهلكوا حرثاً ولا نسلاً[٣]، وإنما هدموا أثناءها جميع القباب المقامة على ضرائح الصالحين وأخذوا جميع التوابيت الموضوعة على قبورهم، ما عدا قبة الشيخ فضل بن عبدالله بافضل فلم تنلها يد الهدم، ولم يعترضهم آل بن بريك ولم يحصل بينهم وبين أمير الشحر أي اصطدام. ويذكر المؤرخ باحسن أن الوهابية وضعوا التوابيت وبعض أبواب المساجد التي أخذوها في إحدى السفن التي معهم وساروا بها، ولما وصلوا إلى ثغر مرير احترقت السفينة وخرجت بعض الأبواب سليمة إلى الساحل فأُخذت وأُعيدت إلى مواضعها[٤].

وتفيد رسالة تعود لسنة ١٢٢٦هـ[٥] أن ناجي بن قملا نفذ إلى الدرعية عقب رجوعه

---

١ - صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٨٤.
٢ - المختصر في تاريخ حضرموت، ص٩٢. وكذا: ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت، ص٣٧.
٣ - معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت،ص٧٦.
٤ - نشر النفحات المسكية في أخبار الشِّحْر المحمية، عبدالله بن محمد باحسن، تحقيق محمد عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٦٥.
٥ - انظر وثيقة رقم (٨).

من الشحر ولا عاد ظهر منه لا كذب ولا صدق، ربما لانقطاع أخباره بعد ذلك. كما تذكر رسالة أخرى[١] أن بن قملا وصل بقوم إلى الساحل، أي إلى الشحر، ورجع مكسوراً، ثم وصل بقوم إلى حورة وأخذ عدة أيام ونفذ إلى القبلة وخلفه أخوه منصر الذي بقي في حورة.

لماذا لم يعترض آل بريك الحملة

يتساءل البعض لماذا لم يعترض الأمير ناجي بن علي بن بريك على نزول الوهابيين في مدينة الشحر ؟ ولم يستعد لمحاربتهم؟ ولماذا وقف موقف المتفرج إزاء ما يحدث في مدينة الشحر؟.

الإجابة على هذه الأسئلة نوجزها في الأسباب الآتية:

أولاً: إن قدوم الوهابيين إلى الشحر تزامن مع السنة التي تولى فيها ناجي بن علي السلطة، وكانت التحديات التي تواجهه كثيرة لتعزيز وتمكين سلطته.

ثانيا: فشل الجهود والمساعي التي جرت مسبقاً من قبل شخصيات اعتبارية ذات تأثير ومقربة إلى حُكَّام الإمارتين الكسادية في المكلا والبريكية في الشحر لتوحيد جهود الأمارتين لمواجهة حملة بن قملا منذ لحظة وصولها عقبة "عبدالله غريب" في طريقها إلى الساحل الحضرمي. ولذلك لم يفضل آل بن بريك الدخول بمواجهة منفردة مع حملة بن قملا، لأن ذلك سيعني إضعاف قوتهم التي هم بأمس الحاجة للحفاظ عليها في صراعهم الأهم القائم مع الكساديين الطامعين بالسيطرة على الشحر. وقد حدث ما كانوا يخشونه، ففي سنة ١٢٢٧هـ نشب الشرّ ما بين الكساديّ "صاحب المكلّا " وآل بريك، وامتدّت المناوشات بينهم زماناً طويلاً في البحر والبرّ[٢].

[١] - انظر وثيقة رقم (١٣).
[٢] - انظر: إدام القوات، ص٧٧.

ثالثاً: اطمئنان آل بن بريك من أن الوهابيين لا يسعون للسيطرة والحُكم، وأنهم فقط مجرد غزاة عابرين لا يشكلون خطراً على سلطتهم، وإنما لهم دوافع عقائدية اقتصرت فقط على هدم القِبَاب وإبعاد التوابيت ومحاربة المظاهر التي يرونها بدعةً تتنافى مع عقيدتهم. وما يؤكد صحة رؤيتهم تلك أن الوهابيين غادروا الشحر بسلام بعد أربعين يوماً من مكوثهم فيها والعودة من حيث أتوا[١].

إن الهدف من وصول حملة بن قملا إلى الشحر، مثلما إلى بقية حضرموت، لم يكن دينياً بحتاً، لأنهم لم يقوموا بإرشاد الأمة بالوعظ في المساجد والنصح المطلوب شرعاً وتبيُّن الحقيقة العلمية مما كان يعمل خطأ في العقيدة، ولم تحصل بينهم وبين علماء البلد مناظرات علمية ليؤدوا مهمةً جاؤوا من أجلها وعادوا إلى بلادهم ولم يحدث لهم أي شر ولا أذى ولم يعترض الأمير عليهم لأن مغزاهم ليس سياسياً. ولعلهم كانوا ليأخذوا علماً عن هذه المدينة وسمعتها التجارية[٢].

قد يكون الأمير ناجي بن علي بن بريك التقى بقائد الحملة بن قملا عند دخولهم بسلام إلى الشحر، لكن من غير المؤكد أن يكون وافقه أو ناصره في نشر الدعوة الوهابية، كما ذهب البعض في القول أنه كان يأخذ العهد على كل من يدخل الشحر بالالتزام بالصلاة، في توظيفٍ غير موفق لزامل العوابث القائل[٣]:

قولـــــوا لنــــــاجي بـــــن علـــــي كُلِّـــــين يُوخَـــــذ لـــــه مَـــــلاه
مـــــا راس بـــــن عَوبَـــــثْ غَلَـــبْ مـــــا بـــــا يعاهـــــد عالصَّـــــلاه

ذلك أن لا صلة أصلا لهذا الزامل بحملة بن قملا، لا من قريب أو بعيد، والحقيقة أن أَخْذ الأمير ناجي بن علي ذلك العهد على كل من يدخل الشحر بالالتزام بالصلاة، إنّما

١ - انظر أيضاً: إمارة آل بريك بالشحر، ص٦٢.
٢ - الشحر عبر التاريخ، ص ٥٤.
٣ - انظر: يافع في حضرموت، ضمن الموسوعة اليافعية، المجلد الثامن، ج(١٢)،تأليف :طارق بن سالم سعد الموسطي وآخرون، دار الوفاق للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٥م، ص٣٢.

جاء عملاً برأي الإمام الحبيب حسن بن صالح البحر– وليس بن قملا– بأن لا يُمَكِّن أحداً من البادية يدخل الشحر ليمتار[1] إلا بعد أن يحلف اليمين على أن لا يقصر في الصلاة، ولما جاء العوابثة رفضوا ذلك وعادوا إلى الغيل وارتجزوا ذلك الزامل لشاعرهم[2].

صحيح أن الأمير ناجي بن علي بن بريك (توفي ١٢٤٢هـ) كان خادماً للدّين، شديد الغيرة على شعائره، لكنه لم يناصر بن قملا، بدليل قبوله بالجهود السالفة لتوحيد جهوده مع الكسادي لمواجهة حملة بن قملا قبل وصولها إلى الشحر، وإن لم يُكتب لتلك الجهود النجاح، فإنها قد عبرت عن الرفض للحملة وعدم التفاعل معها أو تأييدها، ولذلك اكتفى بالموقف المحايد منها، لتجنب الدخول في صراع ومواجهات معها، طالما تناهى إلى علمه أنها لا تتدخل بالسياسية ولا تسعى لفرض السيطرة والحكم، وحافظ بذلك على قواته التي ستكون الحاجة إليها في حالة استئناف المواجهات مع الدولة الكسادية المجاورة التي لم تكف عن التحرش به طمعاً في السيطرة على الشحر.

موقف آل الكسادي

لم تصل حملة بن قملا إلى المكلا، رغم اقترابها منها بوصولها إلى ميناء الشحر المجاور للمكلا. ومع ذلك فأن تأثيرها قد امتد بصورة غير مباشرة إلى المكلا، من خلال المواقف المتباينة منها من قبل أمراء آل كساد. إذ تكشف لنا المراسلات التي بين أيدينا عن موقفين متناقضين لكل من حاكم المكلا حينها النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي وأخيه عبدالحبيب بن صلاح إزاء حملة بن قملا الوهابية خاصة والموقف من دعوة الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب بشكل عام.

ففي الوقت الذي وقف النقيب عبدالرب موقف الترقب والحذر أو التوجس والريبة

[1] -امتار الرَّجلُ لأهله أو لنفسه: جمعَ المِيرَةَ، أي: الطَّعامَ من الحبِّ والقوت "قصد المدينةَ يمتار لصغاره"[معجم اللغة العربية المعاصرة].
[2] - انظر: معجم بلدان حضرموت، ص٧٧.

من حملة بن قملا، ثم العداء لدعوة الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب بشكل عام، فأن مواقف شقيقه عبدالحبيب على العكس من ذلك، إذ كشفت لنا مراسلاته ومواقفه أنه كان مؤيداً ومناصراً للوهابية، بل ومن أشد المتحمسين للجهاد في سبيلها، وسنوضح موقفيهما بالتفصيل والأدلة فيما يلي:

أولاً: موقف النقيب عبدالرب المعارض

لاستجلاء موقف النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي غير المؤيد لحملة بن قملا أو للدعوة الوهابية، نذكِّر بتلك المساعي التي بُذلت من قبل بعض رجالات الإمارتين الكسادية والبريكية، في عهد كل من النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي، حاكم المكلا، والنقيب ناجي بن علي بن بريك حاكم الشحر– رغم الصراع والخلاف القائم بينهما – لتوحيد جهودهما بغية مواجهة خطر حملة بن قملا قبل وصولها إلى الساحل قادمة من وادي حضرموت بعد أن سيطرت على أهم مدنه هناك.

أناب عنهما في تحقيق هذه الغاية شخصيات اعتبارية ذات تأثير ومقربة إلى كل منهما. وبالطبع بموافقة مسبقة أو ضوء أخضر منهما. وحرصت تلك الشخصيات على بذل الجهود المخلصة لتقريب المواقف بين حكام المكلا الكساديين والشحر البريكيين بغية إيجاد تحالف مؤقت بينهما لصد الخطر القادم الذي يتهدد الجميع. وتزامنت تلك الجهود مع بلوغ حملة بن قملا عقبة (عبدالله غريب) قادمة من وادي حضرموت في طريقها إلى الساحل الحضرمي.

وعبّرت الرسالة الأولى من طرف آل بن بريك عن الخشية من أن يدفع بن قملا فور وصوله إلى الساحل أهل البنادر إلى مواجهات بينهم البين، ويقتل بعضهم بعضاً، وأن يتكرر نفس السيناريو الذي حدث في عينات من اعتداء على قبة الشيخ أبي بكر بن سالم

والحبيب حسين وسجن الحبيب أحمد بن سالم. ودعت إلى التفاهم مع حاكم المكلا النقيب عبدالرب الكسادي للقبول بفكرة تحالف ثنائي بينه وبين حاكم الشحر يقطع الطريق أمام أي قبول أو تعاون مع بن قملا، مشيرةً إلى أن بريك قد شرع فعلاً في تحصين الشحر بمراتب عسكرية، وإذا ما تم قيام مثل ذلك الحلف وتحصين كل من الشحر والمكلا واغلاقهما في وجه قوات بن قملا فأنه لن يجد المدد وسيكون الفشل حليفه.

و في الرسالة الجوابية جاء التأكيد على الحذر من أطماع بن قملا ومساعيه في دفع الأهالي في كل من بندر المكلا والشحر إلى أتُون فتنة بينهما، وألمحت إلى الشك من أن يكون له أتباع وأنصار حَسَّنوا له هذا الأمر، وهو ما يُفهم من القول(أن معه سَمَقْ من أحد). ولعل المقصود بهذا التلميح النقيب عبدالحبيب بن صلاح لمواقفه الواضحة والمؤيدة علناً لدعوة الإمام مُحَّمد بن عبدالوهاب، كما سبق لنا الحديث عن ذلك، وكما سنوضح أكثر أدناه[1].

لم يكتب النجاح لتلك المساعي في توحيد الجهود بين بين الكسادي وبن بريك في وجه بن قملا الذي وصل إلى الشحر، ربما لكونها جاءت متأخرة في الوقت الذي كانت فيه حملة بن قملا في الطريق (عقبة عبدالله غريب)، ووصلت إلى الشحر فعلا، ولم يكن للأمير ناجي بن علي سوى القبول بقدوم بن قملا وعدم اعتراضه أو مواجهته طالما لم يهدف للسيطرة أو الاستيلاء على الحكم واقتصرت مهمته على إزالة ما لم ينص عليه الشرع مما يعمل من تجصيص القبور وإقامة التوابيت والقباب والتوسلات بالأموات إلى غير مما اعتبروه مخالفا لعقيدة الإسلام الصحيحة[2].

كما تجلى موقف النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي المعادي للوهابيين والمؤيد

---

[1] - انظر الوثيقة رقم (١٢)، وكذا ما استعرضناه في الحديث عن المواقف الحذرة.

[2] - انظر: (الصراع الكسادي-البريكي في وثائق تاريخية تُنْشَر لأوَّل مَرَّة) أ. د.علي صالح الخلاقي. بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الرابع "التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي" الذي نظمه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يوم ١٩ديسمبر٢٠١٩م في المكلا- حضرموت.

لأشد خصومهم الأتراك العثمانيين في عدد من رسائله. منها رسالة بعث بها شخصياً إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري ومحررة يوم ٢١ربيع آخر سنة ١٢٢٨هـ [1]. فبعد المقدمة والسلام والتعرض لأخبار حضرموت، يأتي على أخبار الشام، ويقصد بها الحجاز، فيقول:"وان سألت عن أخبار اليمن والشام حسبما يبلغكم من شان الترك وصولوا في قوة عظيمة قدر مئة وأربعين ألف واصطفوا الشام الجميع جدة ومكة والمدينة والطائف وجانب من الحجاز الجميع يذكروهم نافذين إلى الدرعية ربنا ينصرهم وأيدهم". وهو هنا يبين موقفه الواضح الذي لا غبار عليه ولا لبس المؤيد للترك، بل أنه يتباهى ويتفاخر بقوتهم التي يصفها بالعظيمة ويذكر عددها الكبير الذي بلغ (١٤٠ألف) وهو رقم مبالغ فيه، أراد منه تضخيم قوة الترك، ولم يخفِ سروره وغبطته لسيطرتهم على مدن الحجاز (الشام) الرئيسية، جدة ومكة والمدينة والطائف، وتأهبهم للاتجاه نحو الدرعية، ويدعو الله أن ينصرهم.

وفي رسالة ثانية محررة يوم الاثنين ١٣ شهر رجب سنة ١٢٢٨هـ[2] بعث بها النقيب عبدالرب إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري، أي بعد حوالي شهرين على رسالته السابقة، يذكر فيها حسب الأخبار الواردة من الشام – أي الحجاز– أن الوهابيين لم يعد لهم ذكر هناك، يقول:" وإن سألتم عن أخبار الشام الترك في قوة عظيمة والوهابي معاد له ذكر، وأخبار اليمن قد الواقع عندكم". وهو هنا يبدى فرحه لتعاظم قوة الترك وفرحته لهزيمة الوهابيين على يد الأتراك العثمانيين وتأكيده أنهم لم يعد لهم ذكر في الحجاز.

أما الرسالة الثالثة للنقيب عبدالرب بن صلاح فقد بعث بها إلى الشيخ عبدالنبي بن

[1] - انظر الوثيقة رقم (١٩).
[2] - انظر الوثيقة رقم (١٧).

عوض دينيش البكري[١]، وكذلك الفقيه عبدالحبيب أحمد حيدر البكري، وهي بدون تاريخ، لكن من مضمونها يتضح أنه بعث بها عشية هزيمة الوهابيين النهائية في عقر دارهم وآخر معاقلهم الدرعية على يد قوات إبراهيم باشا وسقوط عاصمتهم الدرعية بعد قرابة ستة أشهر من الحصار والمعارك الطاحنة واستسلام عبدالله بن سعود وطلبه الأمان لأتباعه. ففي تلك الرسالة يذكر أخبار تلك السيطرة يقول:" وان سألتم عن أخبار الشام [يقصد الحجاز] من شان الباشا فهو واصل في أخبار كثرة للحج ومن شان ولده نفذ إلى الدرعية وحط عليها وضيّق عليهم، وبعد هم طلبوا الأمان ووالده الباشا أعطاهم على شرط يردُّون جميع ما شلّه سعود من حجرة النبي عليه أفضل السلام ولا جَبَوا له[٢]، ولكن طلبوا منه مهلة إلى الحج وأخذ عليهم خمسين محبوس من أولاد سعود ومن مشايخ العرب ونفذ بهم إلى مصر إلى والده، وعبدالله بن سعود يواجه الباشا في الحج وحط رُتبة في الدرعية والقصيم خَيَّاله وعسكر"[٣].

وهكذا تم استسلام الدرعية–آخر الحصون– في ٩ ذو القعدة سنة ١٢٣٣هـ، وانتهت بذلك الدولة السعودية الأولى وفقد السعوديون أثناء تلك المعارك زهاء عشرين من أقرباء الإمام، وتم نقل عبدالله بن سعود إلى ألاستانة عن طريق القاهرة وهناك تم إعدامه شنقاً في ساحة مسجد (آيا صوفيا) مع عدد من قادته ممن تم أسرهم في الدرعية[٤].

---

١ - آل دينيش هم بيت المشيخة في بني بكر-يافع.
٢ - جَبَوا له: وافقوا له.
٣ - انظر الوثيقة رقم (٧).
٤ - الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية(١٢٣٨-١٣٠٩هـ/١٨٢٣-١٨٩١م)، أ.د.محمد بن عبدالله السلمان، ط٢، ١٩٩٩م، ص٤٠. موسوعة تاريخ الخليج العربي، محمود شاكر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمَّان، ٢٠٠٣م، ص٢٣٦.

ثانياً: موقف النقيب عبدالحبيب المساند

أما مواقف النقيب عبدالحبيب بن صلاح الكسادي فكانت على النقيض من مواقف أخيه حاكم المكلا النقيب عبدالرب بن صلاح إزهاء الوهابية، والمؤكد أنه كانت له صلة مباشرة أو غير مباشرة بحملة بن قملا والتواصل معها ومع أتباعها الحضارم، ولا يستبعد أنه من أوعز إلى بن قملا بالوصول إلى الساحل الحضرمي.

وبين أيدينا رسالة بعث بها عبدالحبيب بن صلاح الكسادي إلى عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري مؤرخة يوم الأحد ١٢ رجب سنة ١٢٢٨هـ تبين أنه يتتبع أخبار مسار حملة بن قملا القادمة في طريقها إلى حضرموت والمؤلفة من ستة آلاف، حيث قال:" وصلت إلينا أخبار أن بأن ناجي بن قملا وبن عفرا خارجين إلى حضرموت......قدر ستة آلاف وقد وصلوا إلى بلد الأمواة وحال صدرت وعادهم ما بعد وصلوا"[١].

ونتعرف من رسالته لأول مرة على "ابن عفرا" الذي كان ضمن قيادة الحملة إلى جانب ناجي بن قملا، ونجهل أي معلومات أخرى عنه. ولا ندري هل واصلت تلك الحملة طريقها إلى حضرموت من بلد "الأمواة" الواقعة في منطقة عسير ويبدو أن هناك تتبع ورصد لأخبار وتحركات بن قَمْلا ومن معه من قبل عبدالحبيب بن صلاح الكسادي رغم بعد المسافات.

أما تأثره وتعلقه بدعوة الإمام مُحَّمد عبدالوهاب وإخلاصه لها، فنلمسه بوضوح من صيغة ومضمون رسائله التي تطغى عليها الروح الجهادية. ففي رسالته الموجهة من المكلا إلى بني بكر–يافع للفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري يستهلها بعد البسملة بقوله[٢]:"من الواثق بالله عبدالحبيب بن صلاح بن سالم الكسادي، إلى الأخ في دين الله عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري حماه الله من الآفات واستعملنا وأياه بالباقيات

[١] - انظر الوثيقة رقم (١٦).
[٢] - انظر الوثيقة رقم (٩).

الصالحات". وبعد السلام يقول بالنص:" الأحرف من محروس بندر المكلا والأعلام سارة، أخبار المسلمين قدها عندكم نَصَرْهُم على عداهم وجعلهم الظاهرين، كما قال صلى الله عليه وسلم "لم تزل طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم لحتى يلاقوا سيخ الدجال"[١]، فحصل بين المسلمين والترك وقايع كثيرة في "تربة"[٢] وقعت جملة وقايع وكل وقعة والله تعالى ينصر المسلمين وكذلك وقعت لقيّة في القنفذة وحصلت كسيرة كبيرة في الترك، وبعدها وقعت لقيّة في الطائف وحصلت كسيرة في الترك، الحاصل أنهم وصلوا قدر أربعين ألف واليوم معاد إلاّ قدر أربعة آلاف، هذا ما صحت عندنا من أخبار المسلمين والترك، وأنت يا أخي ان كان تعصّب رجال ومرادهم الجهاد في سبيل الله للثواب والأجر والغنيمة يكون وصولكم إلينا أنت ومن معكم وبانطلاع البحر نجاهد على كل من خالف الله ورسوله، وقال ﷺ:" غزوة واحدة في البحر أفضل من عشر غزوات في البر، وان من فاته الغزو مع رسول الله ﷺ فليغزي البحر"[٣]، وأنت إن كان وفقك الله لذلك تصل بناس موحدين لله وكل من يحب الإسلام، ولا يكون تصلون لطلب الدنيا، ومن يؤثر الدنيا على الآخرة فأنها دار زوال والآخرة دار قرار، فالمراد يا أخي طاعة الله والاستعداد لدار القرار، وعند ذلك ما يخيّب الله من قصده على هذا الوجه المشروع وتجيه الدنيا صاغرة راغمة، وان قد حصلت حد مثل الوحيري[٤] أو بن عمر علي أو غيرهم من يحب الله وكتب له الأجر والغنيمة تصل ولو خمسمئة من المسلمين الذين يريدون وجه الله، ونحن ان شاء الله علينا الزاد والزانة والخشب ورجال البحر وجميع آلت البحر والله ناصر جنده. وصدر كتاب للولد طاهر ولا شرحنا له ما شرحناه لك وأنت ان قد عزمت تصل به معك

١ - نص الحديث كما جاء في مسند أحمد:" " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ".

٢ - مدينة تربة أو «تربة البقوم»، مدينة قديمة تقع على حدود نجد مع الحجاز، وتبعد عن جنوب شرق مكة المكرمة بحوالي ١٩٠ كيلومترًا.

٣ - لم يرد في الحديث ذلك النص وإنا ورد قوله ﷺ: غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ أَفْضَلُ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ، مَنْ جَازَ الْبَحْرَ غَازِيًا فَكَأَنَّمَا جَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا.

٤ - آل الوحيري، هم شيوخ ناصفة آل عمرو والسيل من مكتب لبعوس في يافع.

ويكون تصل برجال الذي توفي كلمة الله ويخافون من عقابه ويعرفون الحق من الباطل ويتبعون الحق ويتركون الباطل وجند الله منصور، والجواب سريع بما ترجَّح عندك، وما دار في نظرك والسلام".

الرسالة السالفة بدون تاريخ، لكن يتضح من مضمونها إنها أرسلت سنة بعد الهزائم التي ألحقتها قوات آل سعود ضد قوات والي مصر العثماني مُحَّد علي باشا الذي وصل الحجاز في ذي القعدة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) لنجدة ابنه طوسون باشا، فمنيت قواته بهزيمة أمام السعوديين في المواجهات الشرسة التي جرت في تربة والقنفذة[1].

وفيها نجد شبهاً من حيث المضمون برسالة بن قملا التي يقسم فيها الحضارم إلى مسلمين ومشركين وفق موقفهم من حملته ومن الدعوة إجمالاً. فبالمثل يقسِّم النقيب عبدالحبيب الفريقين إلى مسلمين وأعدائهم، ويقصد بهم الأتراك العثمانيين، وكأنهم حسب رسالته غير مسلمين لكي يبرر الجهاد ضدهم ويفرح لهزيمتهم، ولهذا نراه يعتبر ما تحقق انتصاراً للمسلمين وهزيمة للترك، الذين لم يتبق من قوتهم سوى (٤آلاف) من إجمالي عددهم (٤٠ألف) كما بلغته الأخبار، ولعل الرقم في عدد القتلى من قوات الأتراك مبالغٌ فيه، ربما ليجعل من النصر عليهم ذي قيمة كبيرة ومشجعة للمتحمسين للجهاد. وفي رسالته يطلب تجنيد المزيد من المقاتلين للجهاد في سبيل الله، بغرض الثواب والأجر والغنيمة وسيطلع بهم البحر لمجاهدة كل من خالف الله ورسوله، ويفضّل أن يكونوا موحدين لله ومحبين للإسلام ويؤثرون الدنيا على الآخرة. ويبدو أنه قد وصل إليه بعض المجاهدين من قبل مثل الوحيري أو بن عمر علي ممن ارتاحت لهم نفسه ويطلب الحصول على أمثالهم ممن يحب الله وكتب له الأجر والغنيمة، ولو بعدد (٥٠٠ من المسلمين) الذين يريدون وجه الله، وسيتكفَّل بمؤنتهم وعتادهم (الزاد والزانة) وكذلك وسائل النقل البحري

[1] - الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، ص٣١.

(الخشب ورجال البحر وجميع آلة البحر).

وعلى نفس المنوال نجده في رسالته الثانية المحررة يوم السبت ١٧ صفر عام ١٢٣٠هـ والموجهة أيضا للفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري، يذكر بعد الاستهلالة التقليدية أخبار الحجاز (الشام) وعُمان والتأكيد على الجهاد لإقامة دين الله. يقول بالنص[١]:" أخبار الشام رايقة والمسلمين في زَوْد، ومن قبل هزاع وصل من رأس الخيمة وجلس في الباب وخذ مقدر ثلاث أو أربع (خيش) حال ومال ونفذ إلى الجزر بين اللحية وجيزان وخذ حدعشر ساعية شاحنة فلوس وبُن ورقيق وذهب وغير ذلك. وأخبار عمان سعيد بن سلطان عاهد الإمام عبدالله بن سعود رسَّل له مطاوعة ونقلهم وقام بالأمر والمعروف ونحنا إن شاء الله مرادنا أن تقومون دين الله بقدر طاقتكم وترغبون في الأجر وتكونون أنصار لله بنصر دين الإسلام وتحصل الغنائم إن شاء الله، ونحنا إن شاء الله إذا ثبت الجهاد با نرسل لكم بالذي يشلكم إلى الساحل والخشب إن شاء الله تحصل وتحصل الغنايم والخير وأما جهاد بالفلوس ما يصح لأن المجاهد إلا ما حصله من غنيمة وإذا ثبت ذلك عندكم جهزنا لكم الخشب لحيث نحنا شرحنا لكم في الكتاب الأول إن كان با يحصل من عندكم رجال للجهاد للزاد والمزناد وخيش علينا نحنا إن شاء الله واصلين والخشب باتصلكم إلى شقرة والتحقيق منا لكم متى ما طلبناكم يكون إلى شهر معروف ومن كان مع الله كان معه ونحنا مرادنا برجال المئة والمئتين ما تلقي شي، والجواب مطلوب من قبل أحمد علي سعد ومخرج يافع معه ومتوجهين إلى أي جهة إلى المخا أو إلى الجبال إن كان مراده بخشب على المخا من بحر وشي با يصبح منه لا نكره، الخشب موجودة والرجال موجودة، والحقيق يصل منه لنا ومنكم بجميع الحقايق والكتب متصلة بيننا وبينكم".

ومن خلال التمعن في رسالته يتبين لنا تتبعه لتطورات أخبار المسلمين، ويقصد بهم

---

[١] - انظر الوثيقة رقم (١٠).

قوات عبدالله بن سعود الذي كان يواجه حينها قوات مُحَّد علي باشا والي مصر من قبل الأتراك العثمانيين. ويرى البعض أن الحكومة العثمانية تريد كذلك أن تتخلص من مُحَّد علي باشا في مصر فولته ولاية جدة أملاً في دفعه وإقصائه عن مصر وكان قصدها اصطياد عصفورين بحجر واحد[١].

ويبدي ثقته في الانتصار على الأتراك العثمانيين، حسب ما وصلته من أخبار. أما هزاع القادم من رأس الخيمة فلا شك أنه من جهة القواسم الذين كانوا من أشد حلفاء السعوديين ومتأثرين بالدعوة الوهابية، وكانوا يمتلكون أسطولاً بحريا،ولذلك أخذ ١١ساعية محملة شاحنة بالذهب والأموال والرقيق. ثم يذكر خبر سلطان عمان سعيد بن سلطان ومعاهدته للإمام عبدالله بن سعود، ويبدو أن الأخبار تصله متأخرة لبعد المسافات، لأن أحداث وتطورات قد جرت وساءت حينها العلاقة بين سلطان عُمان سعيد بن سلطان والإمام عبدالله بن سعود، وبدأ النفوذ السعودي في عمان في الأفول بعد نزول قوات مُحَّد علي باشا على ساحل الحجاز عام ١٨١١م، وقتل القائد السعودي في عُمان مطلق المطيري أواخر عام ١٨١٣م ووفاة الإمام سعود الكبير عام ١٨١٤م[٢].

وفي الرسالة يحث على الجهاد لنصرة دين الإسلام والترغيب في الأجر والحصول على الغنائم، وأبدى استعداده في حالة ثبوت الجهاد للتكفل بنقل المجاهدين القادمين من يافع من نقطة تجمعهم في ميناء "شُقرة" عبر البحر أو إلى الجبال حسب الحاجة، وشدد على طلب أعداد كبيرة من المجاهدين من بلاد يافع، لأن المائة والمئتين في نظره قليل ولا تكفي، بل وحدد اسم أحمد علي سعيد الذي سيكون على رأس خروج القوم، بما يدل على أن هناك أنصار يتواصل وينسق معهم.

وهكذا فمثلما انقسم المجتمع الحضرمي بين مؤيد أو معارض لحملة بن قملا، فقد

---

١ - قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط١، ٢٠٠٢م، ص٣٣٣.
٢ - إمارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى(١٧٩٣-١٨١٨م)، ص٢٢١.

كشفت الوثائق أن مثل هذا الانقسام قد برز أيضاً داخل الأسرة الكسادية في المواقف المتناقضة للشقيقين عبدالرب وعبدالحبيب من حملة بن قملا ومن الدعوة الوهابية. حيث وقف النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي، حاكم المكلا، موقف التوجس والريبة من حملة بن قملا ثم سعى عبر رجاله للتحالف مع خصمه النقيب ناجي بن علي بن بريك حاكم الشحر في وجه الحملة قبل وصولها، ورغم أن الحملة وصلت الشحر، ولم تدخل المكلا، إلا أن النقيب عبدالرب، كما دللت رسائله، كان معارضاً لها وللدعوة الوهابية إجمالا، و كان يفرح لانكساراتهم وهزائمهم أمام قوات مُحَّد علي باشا الوالي العثماني على مصر في معارك الحجاز ونجد، بل ويبدي تأييده للقوات التركية ويعبر عن اعجابه بضخامة عددها ولا يخفي سروره لكل انتصاراتها ويتابع سيطرتها على مدن الحجاز وحتى توجهها لحصار الدرعية ويدعو لها بالنصر.

وعلى النقيض من ذلك اتخذ النقيب عبدالحبيب بن صلاح الكسادي مواقف مؤيدة ومساندة للدعوة الوهابية. ولا يستبعد تواصله مع قادة حملة بن قملا وأتباعهم في وادي حضرموت قبل أن تتجه الحملة إلى الساحل وتبلغ الشحر، والأرجح أنه هو من طمّع بن قملا ومن معه بالوصول إلى البنادر(الموانئ). وقد كشفت لنا رسائله تأثره بدعوة الإمام مُحَّد عبدالوهاب، وتكشف لنا لغة رسائله أنه من أكثر المتحمسين لنصرتها، حيث سعى لتجنيد مجاهدين من يافع، وربما من حضرموت بغية إرسالهم لدعم ومساندة المسلمين، ويقصد بهم قوات آل سعود ضد أعدائهم الذين يقصد بهم الأتراك، وعلى نفقته بحراً بواسطة الزوارق البحرية أو عبر الجبال للجهاد في سبيل الله، بغرض الثواب والأجر والغنيمة.

وعلى عكس شقيقه النقيب عبدالرب نجده متشبعاً بأفكار دعوة الإمام مُحَّد بن عبدالوهاب وحرص على أن يصبغ رسائله بها لحض المجاهدين الذين يفضل أن يكونوا

"موحدين لله ومحبين للإسلام ويؤثرون الدنيا على الآخرة". ولأن مثل هذه الدعوة للجهاد قد جاءت متأخرة، فلم يكتب لها النجاح، والسبب أنها تزامنت مع اقتراب هزيمة آل سعود ثم سقوط عاصمتهم الدرعية على يد الأتراك العثمانيين وهو ما أضعف الدعوة الوهابية وأنهى تأثير حملة بن قملا في حضرموت.

أسباب نهاية حملة بن قملا

لا يمكن الحديث عن أسباب نهاية حملة بن قملا الوهابية في حضرموت بمعزل عما لحق بالدولة السعودية الأولى والدعوة الوهابية في معقلها من مقدمات التحلل، والانشغال بقتال القوات المصرية، ثم السقوط في نهاية المطاف في عقر دارها. فقد اتضح أن مهمة اخضاع الجزيرة العربية لأمراء الدرعية ليست بالأمر السهل، لاتساع أراضيها وسوء طرق مواصلاتها عبر الصحاري القاحلة والجبال الوعرة، فضلا عن افتقارها لجيش منظم وقوي وبأعداد كافية لإخضاع المناطق الجبلية في اليمن وحتى الحجاز وساحل مسقط وحضرموت، وظل الاعتماد فقط على تجييش القبائل الذين كانوا ملزمين بالخدمة العسكرية ما بين الثامنة عشرة وحتى الستين وكان كل بدوي أو حضري صحيح الجسم وقوي يعتبر في الواقع محارباً ويلبي الدعوة دون اعتراض[1].

أما قاصمة الظهر بالنسبة للدعوة الوهابية وللدولة السعودية الأولى فعقب المواجهات مع الأتراك العثمانيين عبر قوات واليهم في مصر مُحَمَّد علي الذي أرسل جيوشه للقضاء عليهم، ونشبت بين الطرفين مواجهات شرسة، وكر وفر، وأدت إلى احتلال قوات مُحَمَّد علي للحجاز والسيطرة على المدينتين المقدستين، مكة والمدينة. وتطورت المواجهات إلى تشتت قوات السعوديين في الأطراف البعيدة، ووجدوا أنفسهم مضطرين لمغادرة

[1] - انظر: تاريخ العربية السعودية، ص١٦٢.

حضرموت وعمان واليمن. ويؤكد ذلك ما جاء في رسالة مؤرخة في ٢١ من محرم ١٢٢٨هـ من عبدالمطلوب بن سالم زنبور أحد رجالات الدولة الكسادية بعث بها إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري من بندر المكلا، يشير إلى أخبار الشام، ويقصد بها الحجاز، يخبره بسقوط المدينة بيد العثمانيين، يقول :"أخبار الشام لا بد ما قد بلغكم أخذ المدينة ونواحيها هذا خبر صح وصلت خطوط من اليمن إلى المكلا.. وأخبار عُمان ساكنة من الوهابي معاد له عندهم ذكر في أرضهم"[١]. وفي رسالة أخرى مؤرخة ١٣ شهر رجب من نفس السنة، بعث بها عبدالرب صلاح بن سالم أحمد الكسادي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري، يؤكد نهاية حملة بن قملا الوهابية بقوله:" وإن سألتم عن أخبار الشام الترك في قوة عظيمة والوهابي معاد له ذكر".

وتذكر وثيقة أخرى أخبار سقوط الدرعية وبلدان النجدي جميعها ومقتل عبدالعزيز وثلاثة من أولاده، مع التأكيد على صحة هذا الخبر[٢].

ويستشف من تلك الرسائل مشاعر السرور والفرح التي تضمنتها عند ذكرها لهزيمة الوهابيين، والابتهاج لانتصارات الأتراك. وهذا في تقديري يعود إلى عدم امتلاك الوهابية لحاضنة واسعة وراسخة في حضرموت بحكم عمرها القصير، ثم أنها اتبعت العنف والقسوة لتحقيق الهدف العابر الذي جاءت من أجله، وهو محاربة البِدَع وكل ما يرونه من وجهة نظرهم مخالفاً للدين، وتبعاً للموقف من هذا الهدف قسمت المجتمع الحضرمي، وفق منهجها، إلى "مشركين" وهم من عارضها أو وقف ضدها و"مسلمين" وهم من ناصرها وأيدها. وبعد مغادرتهم تلاشى تأثيرهم، و"بقيت أفكارهم في نطاق ضيق بين مساندين

---

١ - انظر وثيقة رقم (١٧)

٢ - انظر وثيقة رقم (٢٠)، وجاء فيها:" وإن سألتم سادتي عن أخبار النجدي حال الرقم وصلت خطوط من المخا بحقيق وذكر أنها خرجت عليه بلاد العرش محل باشه.....[غير واضح؟] من عند ابن عثمان ولحقوهم في الشام [يقصد الحجاز]وحاربوهم وقتلوا من المكان النجدي جملة خلق وكسروا عزلة باطجة ولا عاد لهم ذكر وبعد خرج سلطان العجم في لزم من ابن عثمان وخذ الدرعية وبلدان النجدي الجميع وقتلوا عبدالعزيز وثلاثة عياله ملازم وقوم سلطان العجم ذكروهم ....وهذا خبر تحقيق ليس عاد فيه لف.

قلائل في حضرموت"[١]. وعادت الأمور إلى سابق عهدها في معظم حضرموت.

وتفيدنا بعض الوثائق إلى أن مغادرتهم كانت بعد تفاوض وحصولهم على أموال لدفع ضررهم، كما نفهم من نص رسالة تعود لذلك الزمن تقول[٢]:"من أخبار بن قملا فهم فرقوا له اثنعشر ألف وافتسح". أي أنهم جمعوا له ١٢ ألف وافتسح،أي غادر. ولم تحدد الرسالة نوعية العُملة، لكنها من العملة المتداولة حينها وهي ريالات ماريا تيريزا التي تسمى (قروش)، ومن تلك العملة التي استأثروا منها على (تسعة ألف قرش) بعد سيطرتهم على عِيْنَات كما ورد في رسالة مولى عِيْنَات[٣]. وقبولهم بالمال مقابل دفع ضررهم ذكره المؤرخ ابن عبيد الله حينما تم بيع بئرين لبن غرامة ببيت جُبَيْر بثلاثمئة وعشرين ريالاً على سبيل العُهدة في دفع ضرر بن قَمْلا، لهذا لم تذكر المصادر أية مواجهات مع بن قملا وقومه في الشحر، واقتصرت مهمتهم على هدم ما رأوه مخالفا لعقيدتهم، كما أنه لم يتبين أن لهم مناصرين هناك كما هو الحال في تريم ومدن حضرموت، بل أن الحكام الكساديين والبريكيين وقفوا موقف المتفرج وغير الداعم لهذه الحملة.

وآخر ذكر عن الوجود البحري للوهابيين ورد في رسالة تعود لسنة ١٢٣١هـ[٤] جاء فيها:"ومن الوهابي عاده في البحر قاطع بنا من السفر"، وبعد ذلك التاريخ لم يعد لهم وجود أو ذكر في المنطقة.

وعند مغادرة الوهابيين لم يبقوا على قوة عسكرية أو جماعة منهم لاستمرارية مهمتهم في محاربة ما يرونه من البدع أو نشر دعوتهم وترسيخها في صفوف الحضارم، بل اكتفوا بأن أوكلوا مهمة نشر الدعوة الوهابية إلى أنصارهم الحضارم.

---

[١] - على حافة امبراطورية- حضرموت، الهجرة والمحيط الهندي، ص١٧٨.

[٢] - انظر وثيقة رقم (١١).

[٣] - انظر الوثيقة رقم(١٤).

[٤] - من الفقيه أحمد علي بن سعيد علي عمر عزالدين أرسلها من بندر المكلا إلى القاضي ابن أحمد حيدر وصنوه حيدر علي سعيد علي حيدر معز الدين [من محفوظات الشيخ ناصر علي محمد عزالدين البكري].

نتائج حملة بن قملا

صحيح أن حملة بن قملا الوهابية في حضرموت كانت عابرة ولم تستمر طويلاً وواجهت مقاومة ومعارضة، بما فيها المواجهات الحربية، لكنها نجحت في هدفها الذي جاءت من أجله، بمحاربتها لما ترسخ من معتقدات تعوَّد عليها الحضارم من التبرك بقبور الموتى، وإقامة القباب عليها، وتقديم النذور، وتنظيم الزيارات لها، وهو ما تراه الحملة مخالفة لدين التوحيد وكان من النتائج التي تمخضت عنها في مراحلها المختلفة هدم كل قباب القبور الموجودة في تريم، وإحراق بعض الكتب المتداولة في الأوساط الصوفية في مدينة تريم، لأن الوهابيين يعتقدون أنها مخالفة لعقيدة التوحيد الإسلامية، وخاصة تلك الكتب المليئة بحكايات الكرامات المنسوبة إلى بعض العلويين والمشايخ المعتقد فيهم عند الحضارم. كما منعوا قراءة الرواتب وإقامة الحضرات والزيارات للقبور[1].

ورغم انتقاد البعض للقسوة والعنف التي اتبعها الوهابيون وعدم جنوحهم للسلم والمجادلة بالحسنى في اقناع الناس بما يروه من بدع مخالفة لدين الإسلام وتنقية مثل هذه البدع من عقول الناس بالتوعية والموعظة الحسنة، وليس مواجهتهم بالقوة والقتال وتقسيمهم إلى "مشركين" و"ومسلمين"، فأنها مع كل ذلك قد أحدثت هزةً عنيفة في روتين الحياة الدينية السائدة في حضرموت ظل تأثيرها الفكري غير المباشر حتى بعد انتهاء الحملة، وكسرت الهالة المقدسة لرموز الصوفية وأوليائها، ممن كان الناس البسطاء يعتقدون بقدراتهم الخارقة وكراماتهم وأنهم وسطاء بين العبد وربه فيغدقون عليهم بالنذور والعطايا.

ومن نتائجها أنها خلقت وعياً مناهضاً للغلو في بعض الشعائر والمعتقدات، ولم يعد نسق الحياة الدينية في حضرموت حكراً على السادة العلويين، بل أن تأثير الحملة لم يقتصر على رجال القبائل وحكام المدن، بل اخترق جدار الصوفية ذاته الذي كان في مأمن عن

[1] - المختصر في تاريخ حضرموت، ص٩٢.

أي اختراقات، حيث تقبل أفكارها علماء أجلاء من السادة العلويين ممن ناصروا الدعوة الوهابية وساهموا في انتشارها، وفرضت على بعض أقطاب الصوفية القبول بإدخال إصلاحات في منهجهم الصوفي المتبع وتنقيته من أوزار الغلو التي لم يعد القبول بها مقنعاً أو ممكنا لدى شرائح وفئات المجتمع الحضرمي، بل وفي إطار البيت العلوي نفسه، واختفت الكثير من تلك الاعتقادات التي عشَّشت لقرون في عقول الناس.

وبمغادرة الحملة الوهابية حضرموت، ضعف نفوذ الدعوة وخف تأثيرها الذي لم يترسخ كثيراً في وعي الناس، لقصر مدتها التي لم تتجاوز العقد من الزمن، لكنها بقيت قوية في "خشامر"، مركز انطلاقتها، حيث تولت أسرة آل علي جابر المحافظة على ما أنجزته الحملة، وفيما عدا قرية خشامر التي استقرت على مبادئ هذه الدعوة، لن تجد أثراً لدعوة الشيخ مُحَّد بن عبدالوهاب، ولهذا سُمّيوا بـ(الوهابيين) وانفردوا في عباداتهم وشعائرهم الدينية تبعاً لما يجري في نجد.ومن غير شك أن عناك أفراد وجماعات من أبناء حضرموت تمسكوا بهذه الدعوة ورفضوا الخرافات والمعتقدات التي كانت سائدة في البلاد.

الخلاصة

يقدم بحثنا هذا حقائق ومعلومات تاريخية جديدة عن حملة بن قملا على حضرموت مستنداً إلى وثائق تاريخية هامة تنشر لأول مرة، أوضحت كثيراً من الغموض الذي ساد حولها، وتكمن أهمية هذه الوثائق في كونها مصدراً أصيلاً وشاهداً بقي لنا من زمن الحدث الذي تعرضنا لدراسته، كما أنها باختلاف شخوصها كشفت أيضاً عن المواقف المختلفة من الحملة، بين مؤيد ومعارض، أو منحاز أو مداهن لاعتبارات مختلفة. ولعل أهم الرسائل هي تلك الرسائل الأربع التي تعود لقائد الحملة، والتي أجابت على أهم تساؤل ظل بدون إجابة، حول اسمه وكنيته، فقطعت الشك باليقين.

وكشفت الرسائل تفاصيل مجهولة، وأجابت عن كثير من التساؤلات ودللت على أن

الحملة قد اتخذت لها منذ البدء مركزين رئيسيين، هما خشامر وتريم حيث أنصارها ممن تأثروا مسبقاً بالدعوة وتحمسوا لنشرها، وهؤلاء ومن يقف موقفهم هم"المسلمين" في نظر الحملة وغيرهم "مشركين"، كما جاء في رسائل بن قملا. وقد اصطدمت الحملات بمعارضات شديدة، لم يكن التخلص منها سهلاً، لقلة أنصارها من الحضارم أنفسهم، ولذلك ظلت في انتظار وصول المدد بقوات من الدرعية، تبالغ الرسائل في ذكر أعدادها ووصفها بقوات لا تحصى، لتطيِّب النفس وترفع من معنوية افراد وأنصار بن قملا، وبالمقابل تسريب معلومات إلى خصومهم بهدف إضعاف معنوياتهم. وتبين أيضاً أن المواجهات بين الحملة ومعارضيها لم تخلو من الخديعة التي استخدمتها الأطراف المختلفة. ومثال ذلك خديعة دخول الوهابيين عينات بترتيب وتدبير للخديعة من حاكم تريم عبدالله عوض بن غرامة، وخديعة الإمام طاهر بن الحسين، بلجوئه للحيلة للتأثير على معنويات المحاصرين من جيش بن قَمْلا للتهويل من قوة خصومهم وانتهاء الأمر برحيلهم.

ولم يقتصر اهتمام الرسائل فقط على تتبع أخبار الحملة في حضرموت، بل ومتابعة تطورات أحداث الدعوة الوهابية بشكل عام ومواجهاتها خارج حضرموت وصولاً إلى عقر دارها، وحتى نهايتها على يد القوات المصرية.

وخلص البحث إلى عدم وجود أسباب سياسية أو عسكرية للحملة بهدف السيطرة على حضرموت وانحصر السبب، في محاربة ما يرونه من بدع تتنافى مع عقيدة السَّلف والدعوة الوهابية كالقباب والمزارات والأضرحة والأذكار، وفي أخذ الغنائم ممن يعتبرونهم (مشركة) ثم العودة من حيث أتوا، والاكتفاء بالدور الذي أوكلوه لأنصارهم في نشر دعوتهم.

ومع ذلك فقد قسمت الحلمة والدعوة الوهابية المجتمع الحضرمي، بكل أطيافه، كما هو حال آل كثير ويافع وآل كساد، بل وحتى السادة العلويين لم يسلموا من هذا الانقسام

في المواقف من الحملة ومن الدعوة بشكل عام، وبعد مغادرة الوهابيين أوكلوا مهمة نشر الدعوة الوهابية إلى أنصارهم الحضارم.

وخلاصة القول أن الحملة توقفت وأنتهى أمرها بعد القضاء على الدولة السعودية الأولى في نجد وتدمير عاصمتها الدرعية من قبل إبراهيم باشا نجل الوالي العثماني على مصر مُحَمَّد علي باشا سنة ١٢٣٣هـ، ومرت تلك الحملة على حضرموت، رغم نتائجها الآنية،كسحابة صيف عابرة، إذ عادت الأمور إلى سابق عهدها، ولم يتبق منها في ذاكرة الحضارمة ووعيهم الجمعي إلا ما حفظته المصادر من شذرات هنا وهناك بما تحفل به من تناقض وتضارب، والقليل مما تتناقله الروايات والأشعار، عن نماذج الغزاة العابرين، ومنهم بن قملا، كما في قول الشاعر حسين بن أبي بكر المحضار في أبياته التي يقصد بها حضرموت:

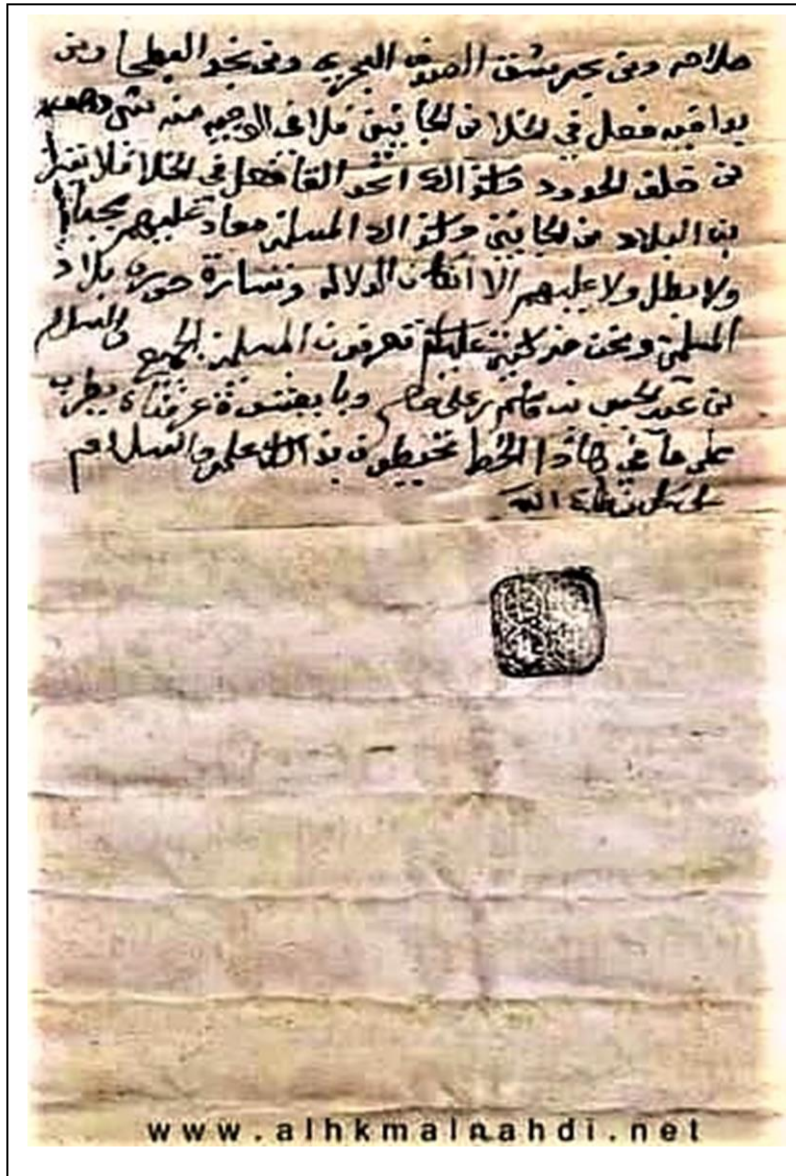
على ما بها تصبر ولا تشكي أمام الناس من علّه
الهون فيها والتعب كل يوم تخرج منها وصله
إذا حفاها الضرب تطرد لا تفكر أنها سهله
طَرَدَتْ عيال العم وطَرَدت بُودجانه هو وبن قَمْلَه
وعادها با تطرد اللي ما يعوذ من إبليس
كل من بنى صرح المحبة يحكم التأسيس

ملحق خاص بالوثائق

حرصت على نشر صور واضحة وملونة لجميع الوثائق، تبين حالتها كما هي في الأصل، وهي تختلف من حيث أهميتها وصلتها بأحداث حملة بن قملا، وقد حاولت ترتيبها حسب أقدميتها التقريبية، وألحقت ببعض الرسائل الهامة نصوصها كاملة، خاصة تلك الرسائل المرتبطة أساساً بحملة بن قملا والتي تضم تفاصيل أكثر عنها نتعرف عليها للمرة الأولى، مثل رسالة صاحب عينات ورسائل آل الكسادي وغيرها. أما تلك الرسائل الأخرى التي وردت فيها مجرد إشارات بسيطة أو أخبار محددة عن الحملة من باب العلم بأخبارها ضمن أخبار حضرموت فاكتفينا بأخذ المعلومة منها ونشر صورتها فقط.

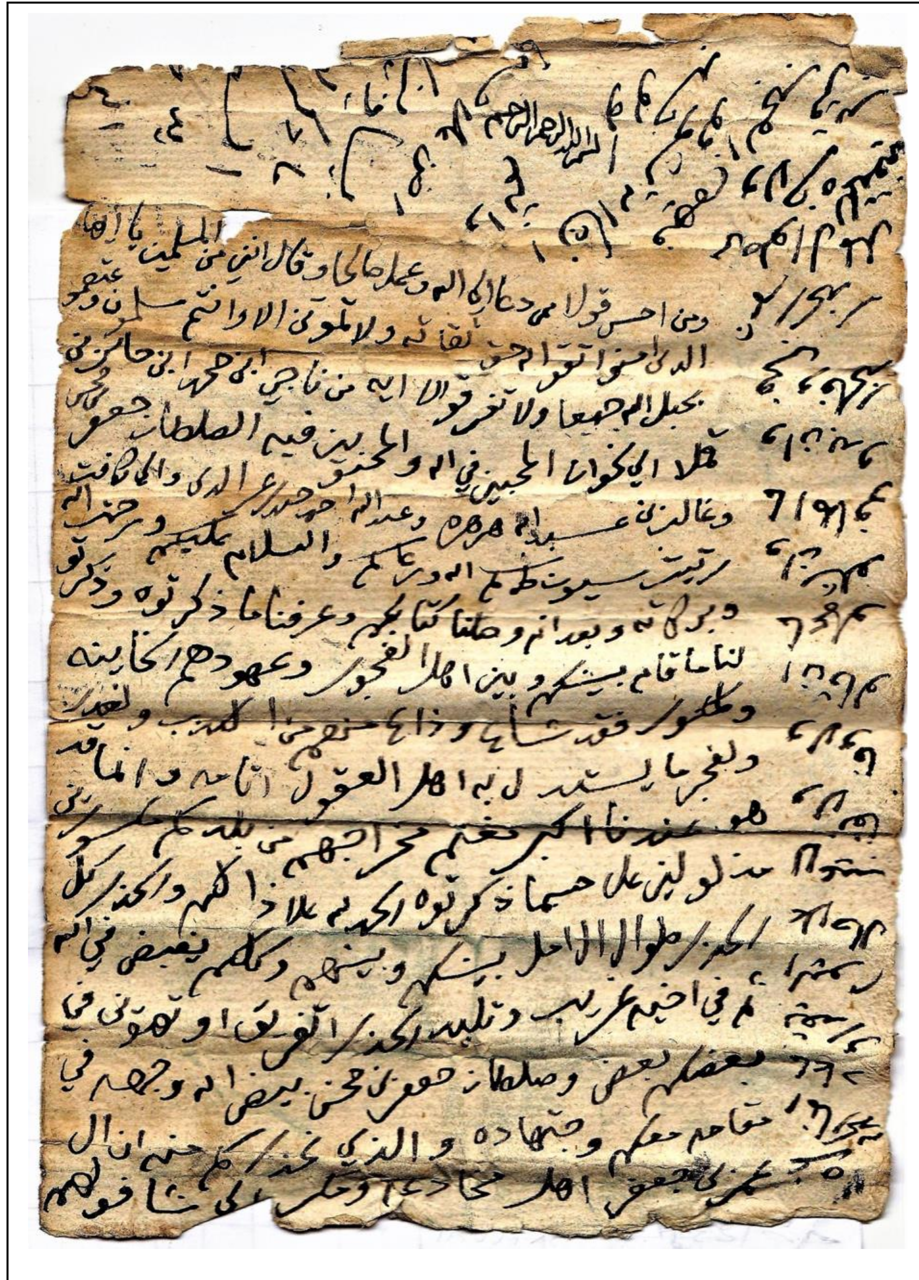
ولا شك أن الباحثين سيجدون ضالتهم في مضامين هذه الوثائق في جوانب أخرى من تاريخ حضرموت الاجتماعي والاقتصادي وغيره خلال تلك الفترة، وذلك ما توخيناه من نشرها.

الوثيقة رقم (١) رسالة بن قملا إلى نهد



صلاح ومن بحر يشق الصنبوق البحريه ومن نجد العطلي ومن
بواديه فعل في الكلا من الكابيين ملاعف الوجيه منه شي وهم
من خلف الحدود وكل الذي اتحد القا فعل في الكلا فلا انتظر
من البلاد من الكابيين وكل الذي المسلمين معاد عليهم محجان
ولا مطل ولا عليهم الا انكهن الدلاله وبشارة حوزة بلاد
المسلمين ونحن حذر كثير عليكم تعرفون المسلمين الجميع والسلام
من عبد المحسن بن قاسم [illegible] وبابقشة عرفناه يطرب
على ما غير هاذا الخط تخيطون بد الا تعلمون السلام
[illegible] ان شاء الله

تابع الوثيقة رقم (١) رسالة بن قملا إلى نهد



بسم الله الرحمن الرحيم

ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد انه وصلنا كتابكم وعرفنا ما ذكرتوه

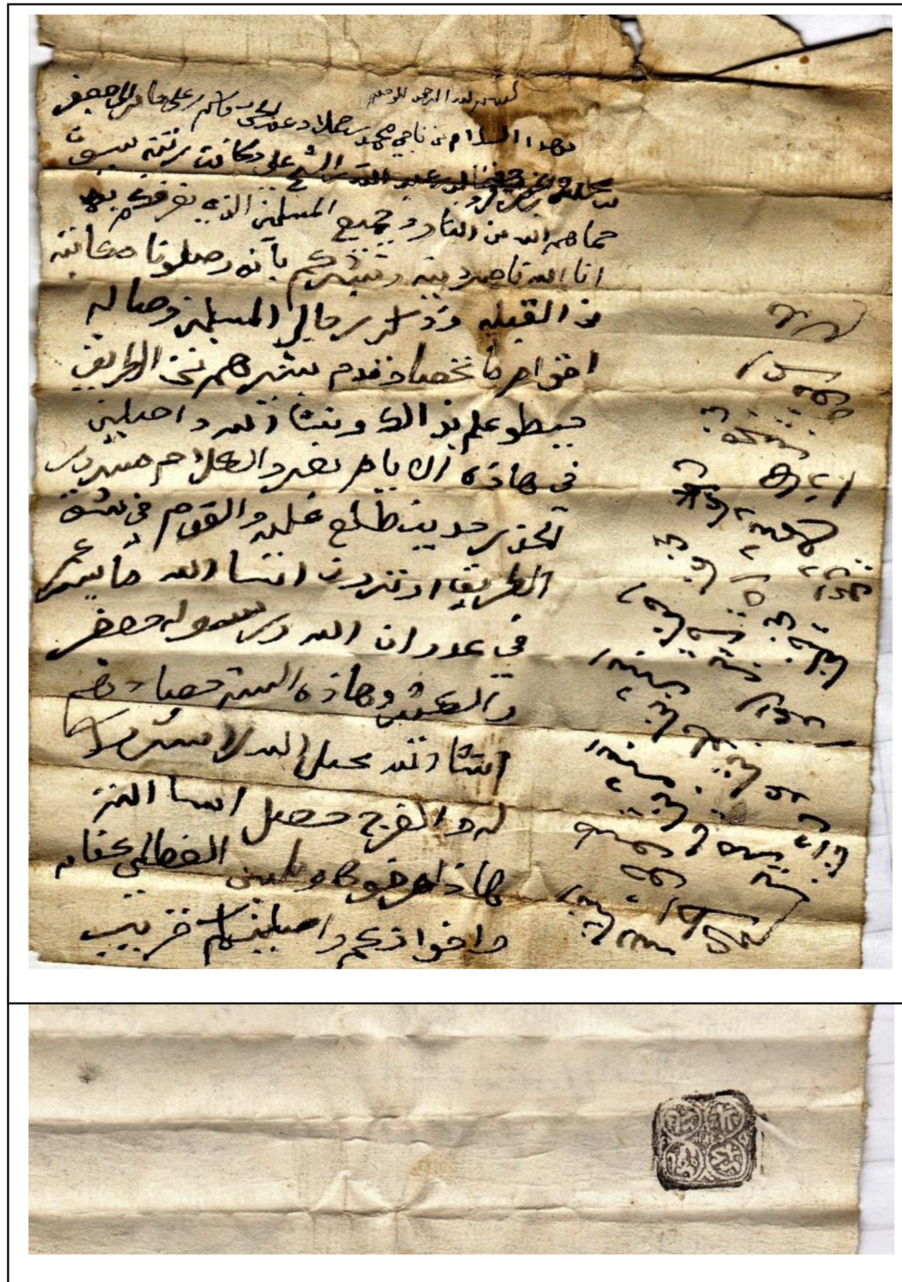
الوثيقة رقم (٢) رسالة بن قملا إلى سيئون



وبينهم الا الحرب اي جاءه يملكهم بهلاكهم
قريب ولا عاد اليوم يقدرو على جال
الدولة والكثير وهيهات [illegible] يا يقع
انشاالله فيهم واحنا مستغنيين عليهم بالله
الذي لا اله الا هو ولا عاد معهم الا الكذب
ويكذبوا [illegible] على افواه [illegible] انه يقع بيننا وبينهم
سداد الا قد شافوا ما يكرهوه والذي له
عقل من الناس يدري انما سعود الله يحفظه
مخلي ابن قملا و لقاضي سيبيت في حضرموت ولا
[illegible] حضرموت [illegible]
وانتم لا تقطعنا كتابكم [illegible]
قوم الدولة الذي [illegible]
[illegible] وسلام وسلمو لنا على
[illegible] جميع وسلمولنا على الغراب وسلام

تابع الوثيقة رقم (٢) رسالة بن قملا إلى سيئون

الوثيقة رقم (٣) رسالة بن قملا إلى سيئون


بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

جماهم الله من النار و جميع المسلمين الذي [illegible]

انا [illegible] بأنه وصلونا [illegible]

[illegible] القبيله ونذكر رجال المسلمين وصالح

اقوام ما [illegible] في الطريق

[illegible] بذالك [illegible]

في هاذه الايام [illegible]

[illegible] القوم في [illegible]

الطريق [illegible] ان شا الله [illegible]

في [illegible] ان الله [illegible] جعفر

[illegible] وهاذه [illegible]

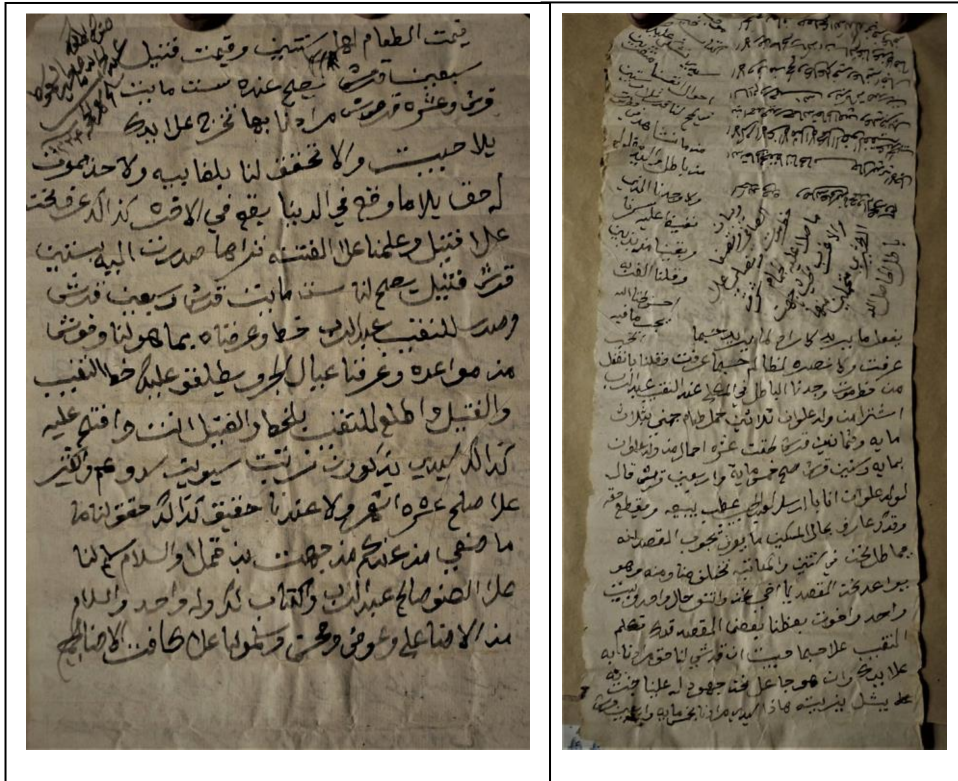
ان شا الله يحصل [illegible]

[illegible] الفرج يحصل ان شا الله

هاذا [illegible] الفطلي [illegible]

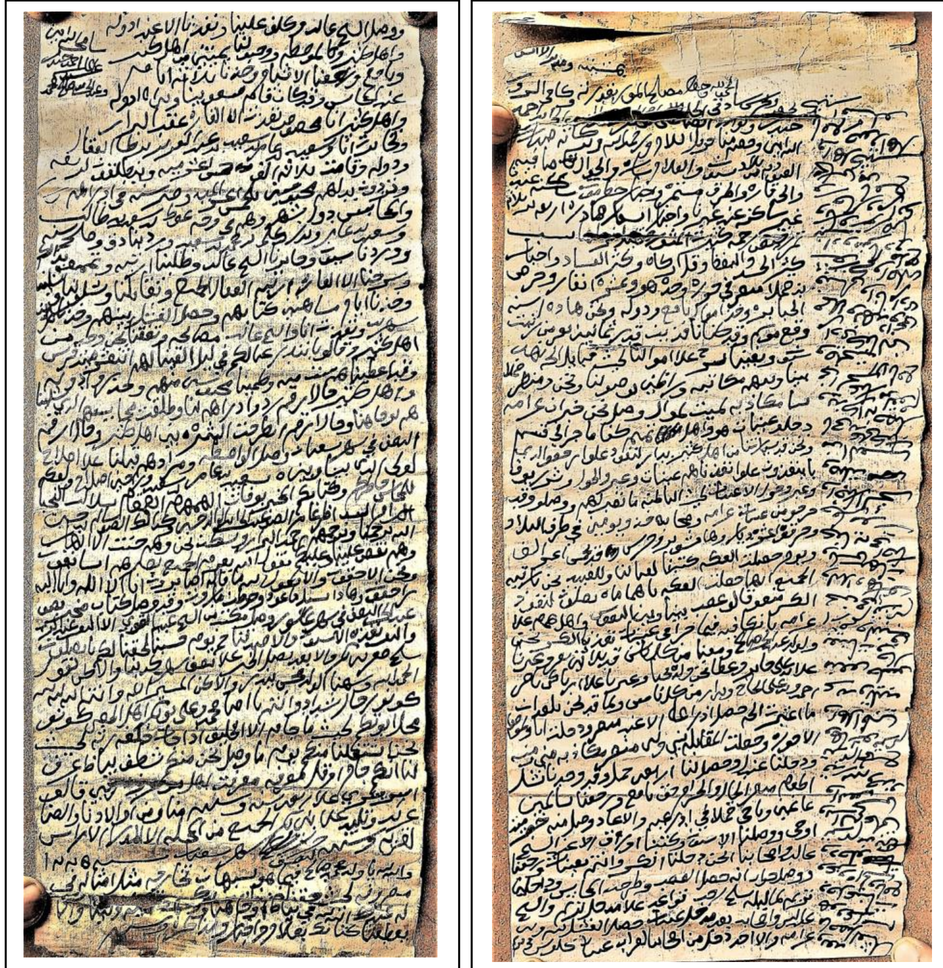
واخوانكم [illegible] قريب

الوثيقة رقم (٤) رسالة بن قملا إلى سيئون



الوثيقة رقم (٥)

أهم ما جاء فيها قوله: يذكرون رُتب سيئون سَدَّوا[اتفقوا] هم والكثيري على صُلح عشرة أشهر ولا عندنا حقيق، كذلك حققوا لنا ما صفي من عندكم من جهة بن قملا.



الوثيقة رقم (٦)

نص الوثيقة رقم (٦) وننشر نَصَّها كاملاً لما تتضمنه من أخبار حضرموت العامة وأسعار المواد وأخبار الفتن التي كانت منتشرة في تلك الفترة وغيرها مما يفيد الباحثين

بمشيئته ومدبر الأمور

الحمد لله وحده مصلح الأمور بقدرته وكافي الشرور يحفظ سادتي الجلال الكرام...عبدالحبيب بن أحمد حيدر و....... (تلف في الاسم)...

حفظهم الله آمين وخصهم منا جزيل السلام ورحمة الله وبركاته

صدرت العبودية من بلاد سيئون والأعلام سارة والأحوال صافية، والحد قارّه، والطُرُق مستمرة. وأخبار حضرموت ساكنة عندنا، غير ساكنة عند غيرنا، وأخبار أسعارها أربعة بُر ثلاثة تمر رخيص رحمة كثيرة، المثورة قليل خراجها بسبب كثر الحسد والبغض وقِلّ الزكاة وكثر الفساد.

وأخبار بن قملا منصر في حوره وحده هو وعشرة أنفار وحرض الجبابرة وخذ أموال يافع والدولة، ونحن هذه السنة وقع موسم وقد كنا نافذين قدر ثمانين نفر من رتبة سيئون، وبغينا نسرح على أموالنا لحيث قبائل آل نهد بيننا وبينهم مكاتبة وراضين بوصولنا، ونحن ومنصر قملا سا مكاذبه لميت لموال. وصل نحن خبر أن غرامة دخلوا عينات هو وأهل تميم ،كفى ما جرى في قسم ونحن قد سَيَارتنا من أهل كثير بالدار للنفوذ علوا رجعوا الذي با ينفذون علوا نفذناهم عينات، وعَبَروا الحول وشريو،ف وعَبَروا حول إلى عينا،ت لحيث الباطنة ما تعبر لهم، ووصلوا وقد خرجوا من عينات غرامة وأصحابه، خذوا يومين في طرف البلاد وحرَّقوا أعشرة ديار وهاشو بر وحرس قدر بخمس اعشر الف، ويوم حصلت العكَّة كتبنا لعيالنا وللعبيد نحن باتّيْن الجميع انها حصلت العكة يا هماماه تصلون لنفوذ الكسر منعوا قالوا عصّب بيننا وبين لبعوس وأهل همام على غرامة با نكافيه فيما جرا في عينات. نفذنا الكسر نحن والولد عبدالحبيب صالح ومعنا من كل ناس قدر ثلاثين نفر، وعبرنا على ابن علي جابر وأعطى نحن ولده يحيى، وعبرنا على الرباكي ناصر أحمد وبن علي الحاج وبالدار من كل ناس ولما قد نحن بلعدان ما اعتبرت الي حصل الذراعة إلى عند منصر ودخلت أنا والموسطة إلى حورة وحصلت المقابلة بيني وبين منصر مكاذبة مني ومنه، ودخلنا عندل وحصل لنا أربعين حمل وقد وجدنا شل الطعام منصر الحلال والحرام حق يافع ورجعنا سالمين غانمين

وناجي قملا في الدرعية ولعاد وصل منه خبر ميت أو حي، ووصلنا إلى سيئون وكتبنا أوراق إلى عند الشيخ غالب وأصحابنا إن نحن دخلنا الكسر وأنتم بعينات ورجعنا، ووصل خبر أنه حصل العصب وطرحت المحابيس وداخلين تريم لما ليلة سلخ رجب تواعد على مدخل تريم والشيخ عبدالنبي وأصحابه بعد مدخل عينات حصل الفشل بينه وبين غرامة ولا أحد دخل من أصحابنا لغراب عينات جلوس في تريم. وبعد ما حصل الفشل هو وغرامة دخل عينات وعزَّوه الحبيب ويافع ودخلوا تريم من بني بكر وبيت الشيخ علي ولبعوس قدر ميه وخذوا تريم الجميع وهاشوا وأهل الظبي غريب وتليد منعوا وجلسوا بعينات، وحال الرقم والبندق يحن في تريم والبلاد هاشوا وبلسن سبهان كفاية من اخبار حضرموت. وأخبار الشحر وصلت من النقيب ناجي بن علي كتاب ويذكر أنه حصل في الشحر غيار من القوم وصيحت إلى يافع، مرادي كفا لبن قملا ونهد والداعي قبيلي، وأنا مرادي شوركم واصلين بزاد ومزناد وملح وباروت ورصاص ورجال ومرادي ناس من يافع وأهل كثير، يافع رحبوا وأهل كثير افتشلوا..

ووصل الشيخ غالب وكلف علينا ونفذنا إلى عند الدولة وأهل كثير والموسطة ووصوا لنا بميتين من أهل كثير ورجعنا إلى شبام وخذنا ثلاثة أيام عند الناس وقد كان قام سعو[مسعى] بيننا وبين الدولة وأهل كثير. أنا مخصوص نفذت إلى القارة عقب البرار وتخابرت أنا وسعيد بن عامر بن سعيد بن عبدالعزيز برضا العُقّال والدولة وقامت ثلاثة ألف وخمس أعشر ميه وينطلقون الأربعة وتردون بدلهم محبوسين بلخمس اعشر ميه وصبر سنه في الدراهم والمحابيس دور شهر وهم في وجه عوض بن سعيد بن طالب وسعيد بن عامر وبدر بن علي بن مُحَمَّد بن سعيد ورد بنادق وصلح سنة، ووردنا سيئون وخابرنا الشيخ غالب وطلبنا الرتبة وتمموا بذلك وسرحنا الى القارة الرتبة العقال الجميع وتقابلنا وشلوا لنا وشلينا وخذنا أيام مساهنين[مؤملين] كتابهم وحصل الفشل بينهم وخذنا شهرين ونفذت أنا والشيخ غالب مصالحة واتفقنا نحن وميه من أهل كثير وقالوا با نندر عيالكم في الليل القينا لهم اثنعشر مية قرش وقد اعطيناهم ست مية وضمينا محبوسين منهم وحذروا الدولة وأهل كثير حال الرقم ردوا دراهم لنا وطلقت محابيسهم الذي شليناهم بوجاهنا وحال الرقم انطرحت المثره بين أهل كثير وحال الرقم النصف في شهر شعبان وصل الواسطة ومرادهم قبلنا على الصلاح لَوَّلي الذي بيننا وبين سعيد بن عامر بن سعيد وراجين الصلاح والفكه للمحابيس خاطركم وكتابكم المخبر بوفاة الهمهوم

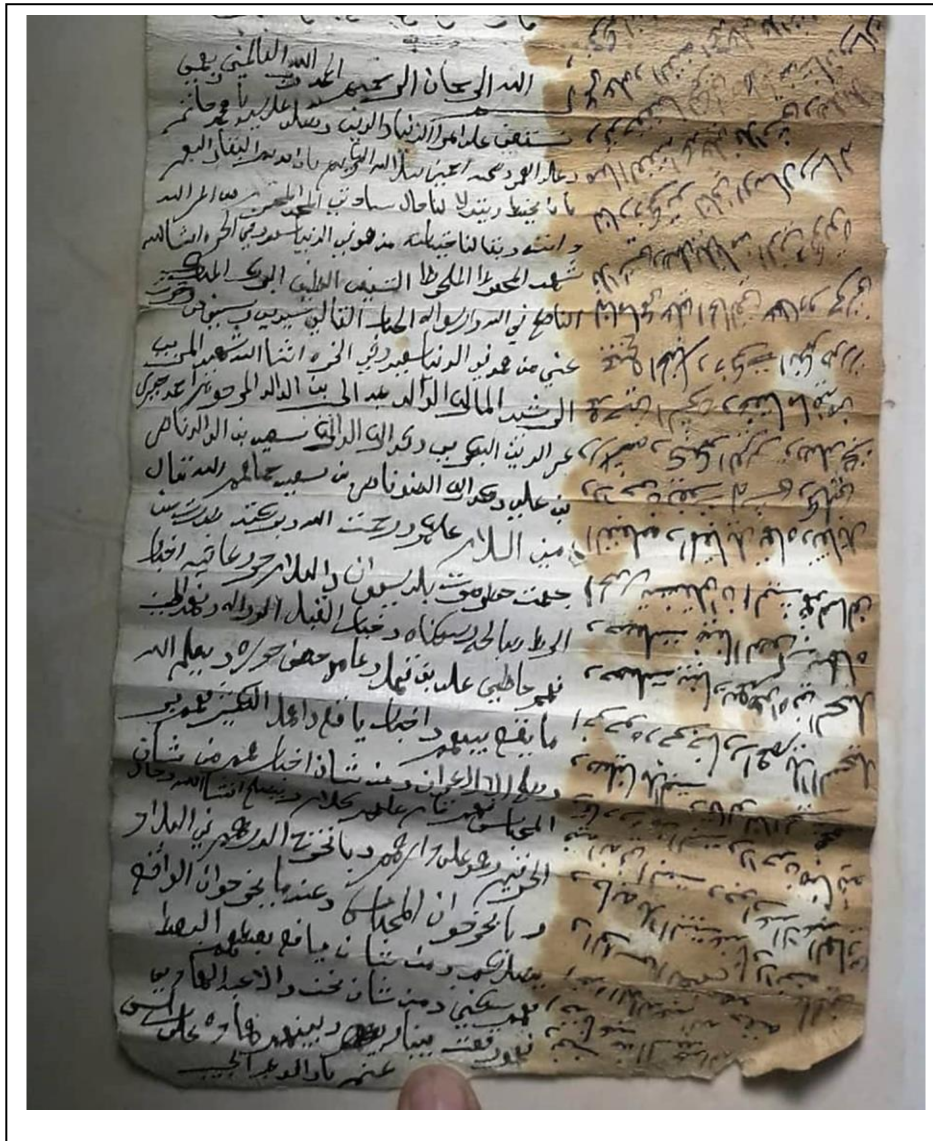
القمقام سلالة النجباء الكرام الأسد الضرغام الصنو عبدالحبيب ابن الوالد حسين وكذلك الصنو سالم بن حسين الله يرحمنا ويرحمهم رحمة الأبرار ويسكن نحن وهم جنة الأنهار وهم نقص علينا وعليكم نقول الله يغرم الجميع بالصبر هم السابقون ونحن اللاحقون ولا نقول الا ما قاله الصابرون إنا لله وإنا إليه راجعون وهذا سبيل ماعود وحوضاً مورود، وقد وصل كتاب مخبر بالصنو عبدالحبيب النصف في شهر عاشور وصل مكتب من الشيخ عبدالقوي إلى النقيب عبدالرب والنقيب نفذه إلى سيئون والا صدقنا جم يوم حسبنا لحقنا لكم بايصلون سلخ صفر بني بكر ولا بعد يصل الخبر على نصف شهر كدينا ولكن نقول الحمد لله، وسهنا الولد محسن يندر ولكن المسير الله وأنتم الله الله كونوا رجال شداد وانتم يا أصنا مُحَمَّد وعلي بوبكر اهل الحقبي كونوا محل أبوكم لحيث ما جام الا الخليف اذا جات خلفة رثه لحيث لحيث نحن اشتغلنا منكم يوم ما وصل نحن منكم شطف بياض عرف لنا انكم جام أو قل معرفة معرفت لهل ....ربي قالو اسر بكري على أربعين سنة وسلام من ومن أولادنا والأصناء غريب وتليد على بني بكر الجميع من المحلة إلى المذرا الى راس القرية والسلام

حرر النصف من شهر شعبان سنة ١٢٢٥هجرية.

والله الله يا ولد مُحَمَّد صالح فيما هو لسبهان تخارجه مثل أمثاله في مصروفه لحيث حقنا.................له عندك الله الله في بياض اوجاهنا ووجهك ...... ولا يقطعنا كتابك باعلام واخبار ومذاكره والسلام.

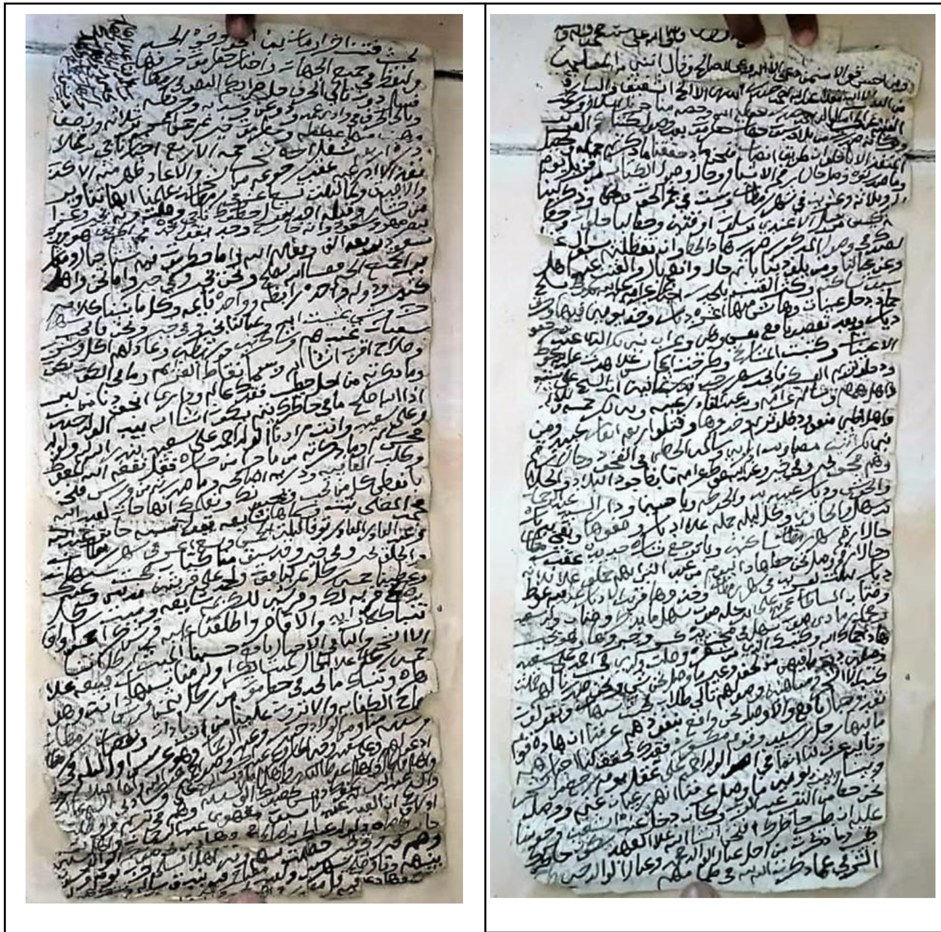
سامحهم الله آمين

عبدالله أحمد حيدر وعبدالحبيب بن صالح مُحَمَّد



الوثيقة رقم (٧)

أهم ما جاء فيها:"أخبار الأرض صالحة وساكنة، وأخبار الدولة ونهد الحين انهم حاطين على بن قملا وعامد حصن حورة، ويعلم الله ما يقع بينهم".



الوثيقة رقم(٨)

أهم ما جاء فيها من أخبار بن قملا سنة ١٢٢٦هـ بعد الحملة الثانية على الشحر:" أخبار ناجي بن قملا نفذ إلى الدرعية عقب رجوعه من الشحر ولا عاد ظهر منه لا كذب ولا صدق، ولما ليلة تسع عشر من رمضان علمنا أنها تناوير من خشامر وقبله أحد يقول خطوط ناجي وصلت وانه بخير وكذا ابصره هو وسعود وانه خارج وحد يقول قده في الطريق هو ووجد بن سعود باربعه ألف ويعلم الله



الوثيقة رقم(٩)

أهم ما جاء فيها:" وصلت إلينا أخبار أن بأن ناجي بن قملا وبن عفرا خارجين إلى حضرموت ....قدر ستة آلاف وقد وصلوا إلى بلد الاموراه وحال صدرت وعادهم ما بعد وصلوا..ووصلت أخبار بغير واقع بأن السيد محمد بن عقيل خارج إلى حضرموت ولكن الله أعلم أنه كذب".


الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
[illegible] الولد علي [illegible] ناصر [illegible]
[illegible] حفظهم الله تعالى [illegible]
وبكافة [illegible] وصلنا الكريم كتاب [illegible]
[illegible] هذا الكتاب لابد [illegible]
محمد بن قملا [illegible] وقصده ان [illegible] من اهل البلاد [illegible]
ويروح [illegible] يهلك الناس وقد [illegible] المذكورين حتى العام
[illegible] وبن قملا [illegible] على [illegible] الشيخ بوبكر [illegible]
[illegible] الحبيب احمد بن سالم [illegible] الشيخ بوبكر [illegible]
[illegible] وبن قملا ما وصل الا على بلدان [illegible]

على [illegible] على آل ابو بكر [illegible]
[illegible]

الوثيقة رقم(١٠)

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

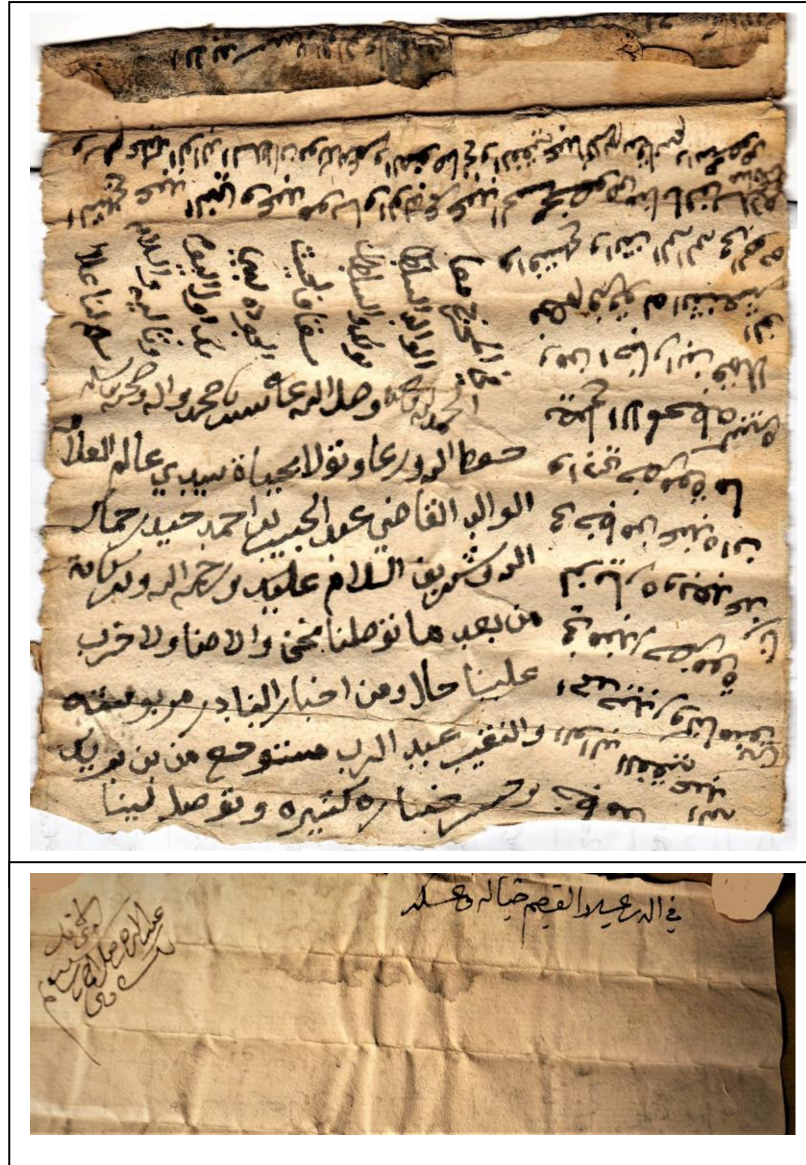
إلى حضرة الأجلاء الكرام الماجدين المحترمين الولد علي بن الصنو ناصر بن يحيا بن ناصر هرهرة وكذلك الصنو عبدالحبيب بن الوالد أحمد بن حيدر السنيدي.حفظهم الله تعالى وخصهم السلام ورحمة الله وبركاته.

صدرت من بندر الشحر والاعلام خير وعافية، الذي نعرفكم سادتي رسَّلنا لكم كتاب ولم يصل جواب عجبنا حد العجب لعل مانع وصحنا اليكم سادتي هذا الكتاب، لا بد قد بلغكم وصول بن قملا إلى عبدالله الغريب وقصده ان يوكل قوة من أهل البنادر ويرج بهم في بعضهم البعض وبا يهلك الناس وقد كفت المذكورين حق العام القواسمة وما حصل منهم، وبن قملا قد وصل على قبة الشيخ بوبكر بن سالم والحبيب حسين وقبض الحبيب أحمد بن سالم منصبنا وقبلتنا والشيخ ابوبكر بن سالم شيخ يافع وحبيبهم الجميع، وبن قملا ما وصل إلا على بلدان يافع وحبابيهم وأما الكثيري رد من نفسه. إن عرفتوا سادتي إن شي عصبة ومسعده با تقع عليه من أهل البنادر مرادنا تخابرون النقيب عبدالرب لا يكون قبول له ولا ماده واليد ماخذه عليه فنحن با نعصب بن بريك ونشل كلام عليه وقده مقوي الشحر مراتب، وإذا قبضت الشحر والمكلا ولا له ماده تاليه يضمحل. وأما نحن سادتي من بعد تكسير قبب عينات وقبض الحبيب أحمد سالم فلا نحن مبقين جهد في تعصيب (الحشد) عليه وغيروا أنتم مرادنا بانت صح ولا رسلنا ذلك الكتب ....

هو يرج بأهل البنادر في بعضهم البعض وكل قوت وضحك على الناس الجميع، ولكن إن شاء الله حوالت المشايخ والمناصب قواته في الساحل ورقمنا إليكم هذا الكتاب ان عرفتوا ان شي عصبة با تقع بين النقيب عبدالرب وآل بريك على بن قملا عرفوا نحن وصدر كتاب منا والحبيب الشيخ عبدالحبيب عبدالله للنقيب عبدالرب ومرادنا ما ترجح عند النقيب على المشرك هذا عرفوا نحن وبا تنتم على آل البريكي وما في.......... ..... كفاية والجواب يعود في الحال بيد المكتب والسلام

المرسل/المملوك

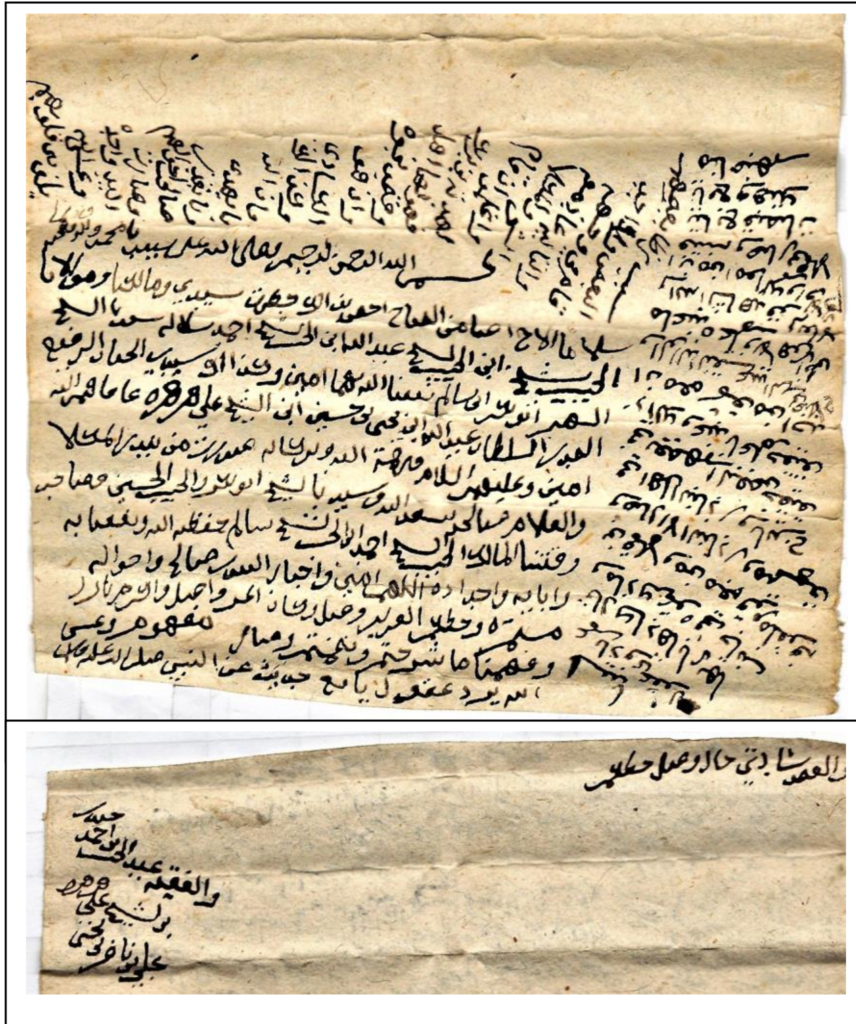
عبدالله بن يحيى حسين هرهرة



حفظ الولد ... عالم العلا
الوالد القاضي عبد ... بن احمد حميد حمار
الولد شريف السلام عليك ورحمة الله وبركاته
من بعد ما توصلنا ... والاخر
علينا حالا ومن اخبار البادر ...
والتغيب عبد الرب مستوحع من بن ...
... اخباره كثيره وتوصل لينا

الوثيقة رقم (١١)

أهم ما فيها:"ومن أخبار بن قملا فهم فرقوا له اثنعشر ألف وافتسح، وأنت الله الله في الجودة في المخرج مع الوالد السلطان بوبك والسلطان سقاف لحيث الجودة لبنيبك أول اليوم وتاليه"


بسم الله الرحمن الرحيم
...
والقصد سادتي حال وصل خطكم

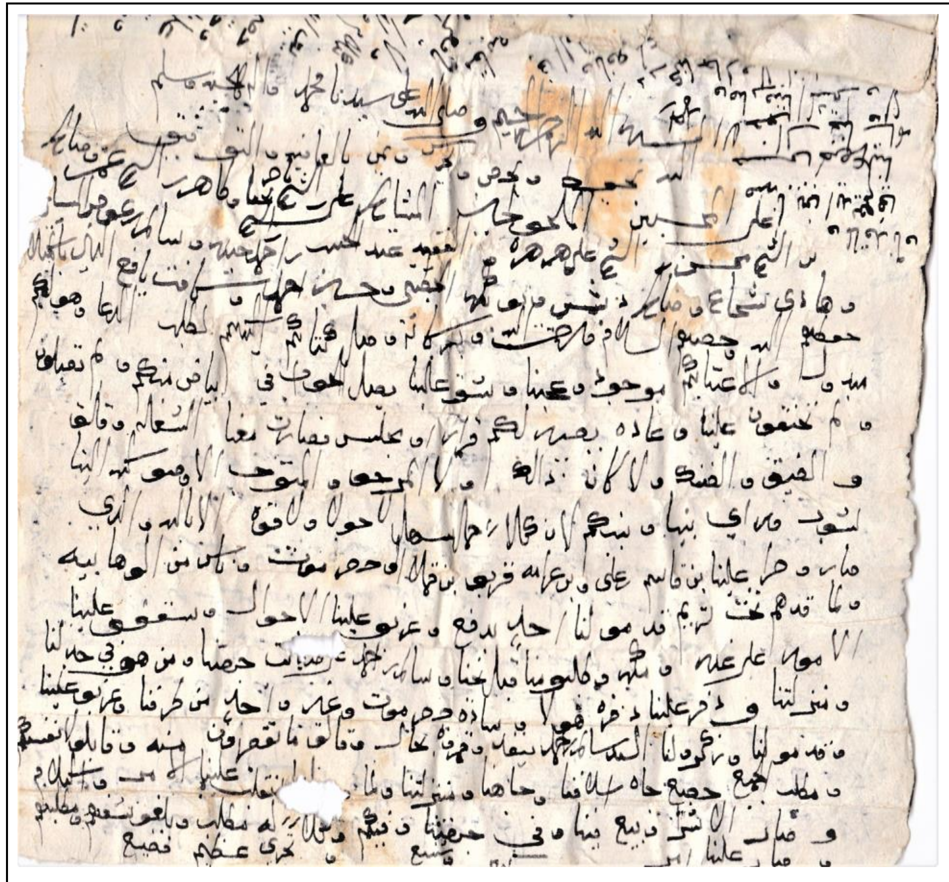
الوثيقة رقم(١٢)

أهم ما جاء فيها:"وما ذكرتموه في جانب بن قملا ومن معه قوم ملقوفة وصَّال إلى البنادر ومتسمّق في أهل البنادر وبا يرج في بعضهم البعض حقيق ذلك وعندنا علم حقيق ان معه سمق من أحد والوالد النقيب عبدالرب بن صلاح ما عنده علم ولا هو راضي والله الشاهد قوله تعالى أن من أموالكم وأولادكم فتنة، وصار بن قملا يتابع قبصات يافع وهتك مناصبهم سبب رضا بعضهم البعض ولا أحد قام في وجهه والتالية عاد معه الشحر والمكلا واعلموا ان قام لهدته بن بريك فهو لها أهل وقصد نحوه وان هو الكسادي وكذلك فإن الله با يهدي وبايقدر صالحت أحوالهم وصارت اليد واحده وعسى الله يؤلف بين قلوبهم، والقصد سادتي حال وصل خطكم".



الوثيقة رقم (١٣)

أهم ما جاء فيها:" أخبار حضرموت ساكنة غير ساكنة، وقملا وصل بقوم إلى الساحل ورجع مكسور وصل بقوم إلى حورة وخذ أيام ونفذ إلى القبلة ومنصر خلف في حورة"



الوثيقة رقم(١٤) الجهة الأمامية



الوثيقة رقم(١٤)
رسالة الاستغاثة وطلب النجدة من صاحب عينات وفي ما يلي نصَّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الله يحفظ ويخص ويحرس ويمن بالعافية والتوفيق على المحبين الملحوظين المشايخ على بن الشيخ ناصر يحيا وطاهر بن الشيخ عمر وصالح بن الشيخ محسن بن الشيخ علي هرهرة والفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر وسالم بن عوض السا.......وهادي شجاع وصالح دينيش وبوبكر الحطيبي وحسين أحمد وكافة يافع الذي بالمكلا. حفظهم الله وخصهم بالسلام ورحمة الله وبركاته

وصل كتابكم إلينا لطلب الدعاء وهو لكم ومبذول والاعتناء بكم موجود وعجبنا وشق علينا يصل الجواب في بياض منكم ولم تقبلون ولم تحنقون علينا عاده يصدر لكم قرار أو مجلس فصارت معنا الشغلة وقلق وضيق والضنك والا لا كان ذلك ولا المرجو والمتوخى إلا وصولكم إلينا لشور ورأي بيننا وبينكم لان كلّن حمل سهل لا حول ولا قوة إلا بالله والذي صار وجرى علينا بن قاسم بن علي وبن غرامة قربوا بن قملا إلى حضرموت وناس من الوهابية ولما قدهم تحت تريم قدموا لنا أحد بدفع وغربوا علينا الأحوال وسقفوا علينا الأمور على غدر ومكر وطلبوا منا قبل نحنا وسالم بن أحمد على صيانة جهتنا ومن هو في حد لنا ومنزلتنا ودفر علينا دفرة هولا وسادة حضرموت وغير واحد من طرفنا وغربوا علينا وقدموا لنا ونكروا لنا السيد سالم بن أحمد ينفذ وقمروه بحال وقالوا ما تقصرون منه وقابلوا لانفسكم ومطلب الجميع خضع جاه اسلافنا وجاهنا ومنزلتنا ولما......انقلب علينا الأمر والكلام وصار الاشتراء والبيع فينا وفي جهتنا وفيكم وكلا يرا له مطلب وبلغوا سعفهم ومطلبهم وصار علينا أمر كبير وشنيع ومجري عظيم فظيع

ولما قدنا صرنا بين ايديهم في حبس لجرم علينا الأحوال نحنا وسالم بن أحمد وصار فينا المشترى ولا دركنا حال ولا لقينا أمر ودهفنا ويافع باعونا وباعوا أنفسهم ببخس قيمة في العار والنار ولما قدنا مقابيض عندهم وكلاً منع نفسه يافعي وقبلي وسيد يتسمعون ولا أحد درَّك علينا ولا تكلم معنا كلام ولا معاونة ولاشبـ.................صرنا بين ايديهم والدفر.....حصموا علينا وعليكم من.......وحتموا علينا حتمة واستولوا علينا وعلى جهتنا وأسلافنا وحتَّموا على جهتنا وأملاكنا تسعة ألف قرش على عينات وقرية لسك والسادة وأهل البلد ونحنا وصلوا على الأموال وفرش الحريم وأسلابنا وبلغوا شفهم ومطلبهم الجميع وعاد نحنا عندهم واستولوا علينا ولما تموا مطلبهم وشفهم الجميع الظاهر والباطن فينا وفي أسلافنا وتخليص الدراهم افتكينا وانتظرنا وناظرنا تغير نقذه أو غيرة أو حميّة أو قرباه أب عن جد أو صحبة أو محبة أو مجالسة ولا أحد لحظ علينا ونفذوا الجميع من حضرموت وصبرنا في بيتنا.....علينا الأمر وصار بن عوض غرامة يبلغ شفه ومطلبه ومركز تراكيز منه وهو مركز من الغير ومن نفسه وسالم غرامة خرج في حصنه ولبعوس مع بن عوض وباعوا أنفسهم وباعونا ومنتظرين غارة الله ونصرة الله تعالى وجاه السلف ونقذه وغيره ومحبة أو ترباه مرد العوجا منا والصيانة منا ومن جهتنا لأنه معوج السمحا علينا وأنتم المحبين الخلاصة زيادة القصد وصولكم على قطر الليل لشور ورأي وجبر بيننا وبينكم لا تعصيه الا من الناس الله الله الدَّرك الغارة الدَّرك بحلس والا مثل نحنا وأنتم من حضرموت تصلون في الحال مبادرة صبوح رمضان وأنتم عندنا. صدر عاني إليكم الجواب يرسل تسيرون الليل والنهار ومن خرج من طرف المحب النقيب عبدالرب الله الله في وصولكم في الحال مباردة الدّرك الدّرك يا دركاه يا دركاه يا غارتاه الغار الله الله اللوم عليكم لنا المعورة عليكم. صدر عاني الجواب راسن[راساً] المخابرة بالتفاهم الله الله بارك الله فيكم ومن خلف لومه من نفسه والقدرة تصرف فيه ويهلك الحال والمال والله أكبر عليه كونوا حذرين الحذر الحذر المخالفة تبغون أنفسكم منا كونوا على حذر ومن خالف لومه من نفسه والظن الجميل فيكم زيادة والسلام.

الجواب راسناً صدر عاني إليكم الحذر تخلفون السماع.

ختم

الواثق بالله الشيخ أحمد بن الشيخ سالم ابن الشيخ أحمد



الوثيقة رقم(١٥)

أهم ما جاء فيها:" إن سألتم عن أخبار الأرض صالحة وساكنة ولا بد قد بلغكم عزوم الصنو عبدالكريم بن سيف والصنو عبدالحق بن صالح ومعهم مقدر خمستعشر نفر ولما قدهم بشقرة لحقوا داو (اسم مركب) عيال بن عمر زيد وصل من جدة له عشرين يوم وخبَّر أن الوهابي أخذ الطائف وجيزان واللحية، والشريف خرج وأخذوا بيت المال ويعلم الله ما يكون وعادهم ارسلوا مكاتبة إلى ابن عثمان يدَّارك عليهم".



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

المحب المكرم [illegible] الأخ الفقيه [illegible] حيدر البكري سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت الأحرف من بندر [illegible] والأعلام

خير وعافية [illegible] في طرفكم

[illegible]

والحبيب [illegible] الشيخ أحمد سالم [illegible]

[illegible] وصل إلى عندنا الشيخ

سلطان بن صقر [illegible] وطلب منا صلح [illegible] سنين [illegible]

علينا [illegible] الصلح [illegible] سنين وإن سألتم

عن خبر [illegible] أخبار [illegible] الساعة [illegible] من

شأن الشام [illegible] الدولة والترك [illegible]

[illegible] حادث

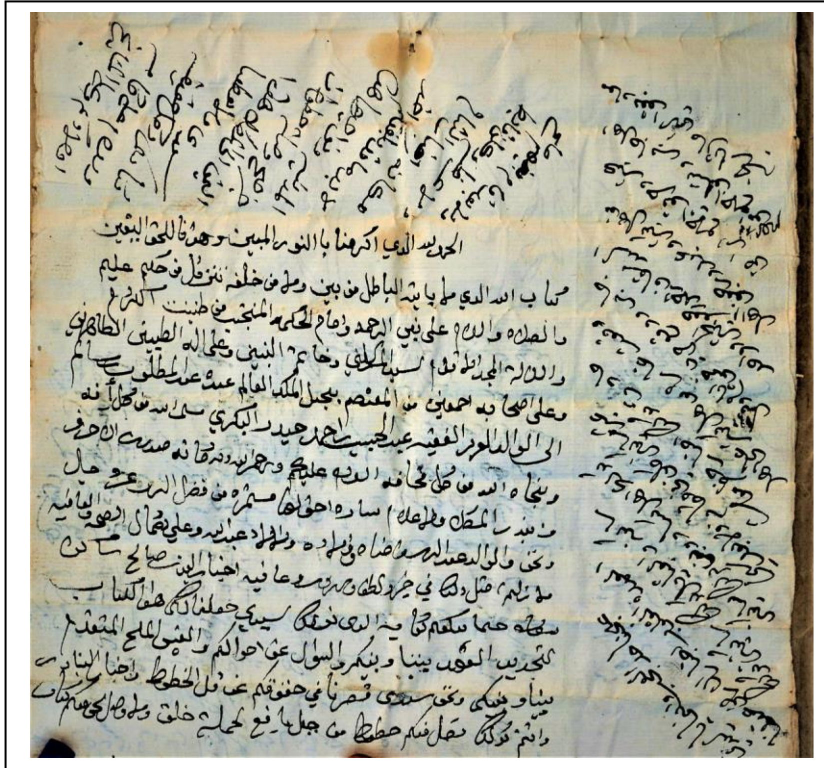
بينهم وأخبار [illegible] ومن شأن الشيخ عبد الله بن علي

[illegible] وصلوا إلى عندنا

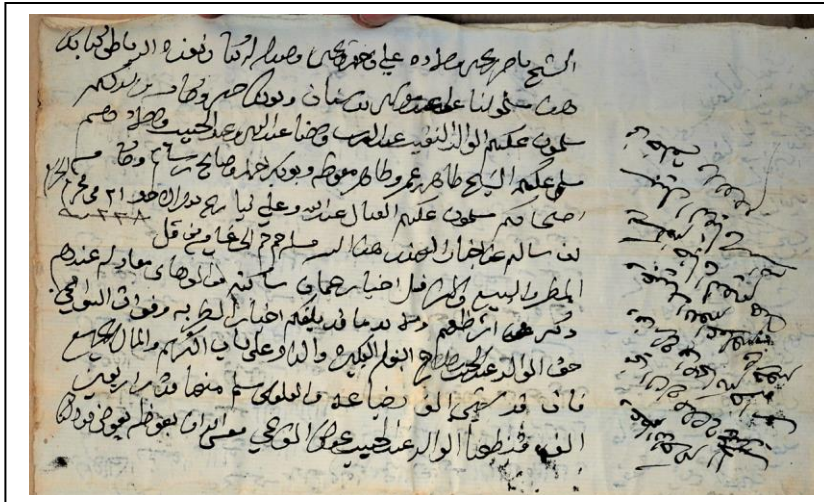
[illegible] عندنا في البندر عشرة أيام ووصلنا لهم

الوثيقة رقم (١٦)

تؤكد نهاية حملة بن قملا الوهابية، حيث جاء فيها:" وإن سألتم عن أخبار الشام الترك في قوة عظيمة والوهابي معاد له ذكر". وهي الرسالة التي يذكر فيها وساطة سلطان بن صقر في نفس العام بين الكسادي وبن بريك.



الحمد لله الذي اكرمنا بالنور المبين وهدانا للحق اليقين



الوثيقة رقم (١٧)، جاء فيها:" الشام- أي الحجاز- لا بد ما قد بلغكم أخذ المدينة ونواحيها هذا خبر صح وصلت خطوط من اليمن إلى المكلا.. وأخبار عُمان ساكنة من الوهابي معاد له عندهم ذكر في أرضهم".



الوثيقة رقم (١٨) وتذكر أن بن قملا قتل في الجوف.



الوثيقة رقم (١٩)

نص الوثيقة رقم (١٩)

إلى جناب الأكرم المحترم الأمجد العزيز الصنو الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري سلمه الله تعالى آمين

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صدرت الأحرف من بندر المكلا والاعلام خير وعافية،، وإن سألت عن أخبار حضرموت ساكنة غير ساكنة، الفتن لم تزل وأخبارنا نحن وبن بريك ساكنين كلّن قابض مكانه، وان سألت عن أخبار اليمن والشام حسبما يبلغكم من شان الترك وصولوا في قوة عظيمة قدر مئة وأربعين ألف واصطفوا الشام الجميع جدة ومكة والمدينة والطائف وجانب من الحجاز الجميع يذكرونهم نافذين إلى الدرعية ربنا ينصرهم وايدهم وجعلنا لك هذا الكتاب صُحبة الشيخ جابر بن قاسم تجديد عهد على حسب الصلة والمكاتبة ونحن وأنتم العهد العهد والحال منا ومنكم واحد وباقي الأخبار بلسن الشيخ جابر بن قاسم والولد طاهر معوضة كفاية، وحقق لنا أخبار يافع وما تجدد من الأخبار، والكتاب على عجل عافاك وابقاك والسلام.

سلموا لنا على كافة أولادك ومن لديكم، كما هو من الأصناء عبدالنبي وعبدالحبيب وأصناهم والأولاد صالح وصلاح وعبدالكريم وأصناهم جميع .

حرر ٢١ربيع آخر سنة ١٢٢٨هـ

مستمد الدعاء

عبدالرب بن صلاح بن سالم بن أحمد محجم الكسادي



الوثيقة رقم (٢٠)، جاء فيها:" وإن سألتم سادتي عن أخبار النجدي حال الرقم وصلت خطوط من المخا بحقيق وذكر أنها خرجت عليه بلاد العرش محل باشه [غير واضح؟] من عند ابن عثمان ولحقوهم في الشام وحاربوهم وقتلوا من المكان النجدي جملة خلق وكسروا عزلة باطجة ولا عاد لهم ذكر وبعد خرج سلطان العجم في لزم من ابن عثمان وخذ الدرعية وبلدان النجدي الجميع وقتلوا عبدالعزيز وثلاثة عياله ملازم وقوم سلطان العجم ذكروهم ....وهذا خبر تحقيق ليس عاد فيه لف".

الوثيقة رقم (٢١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

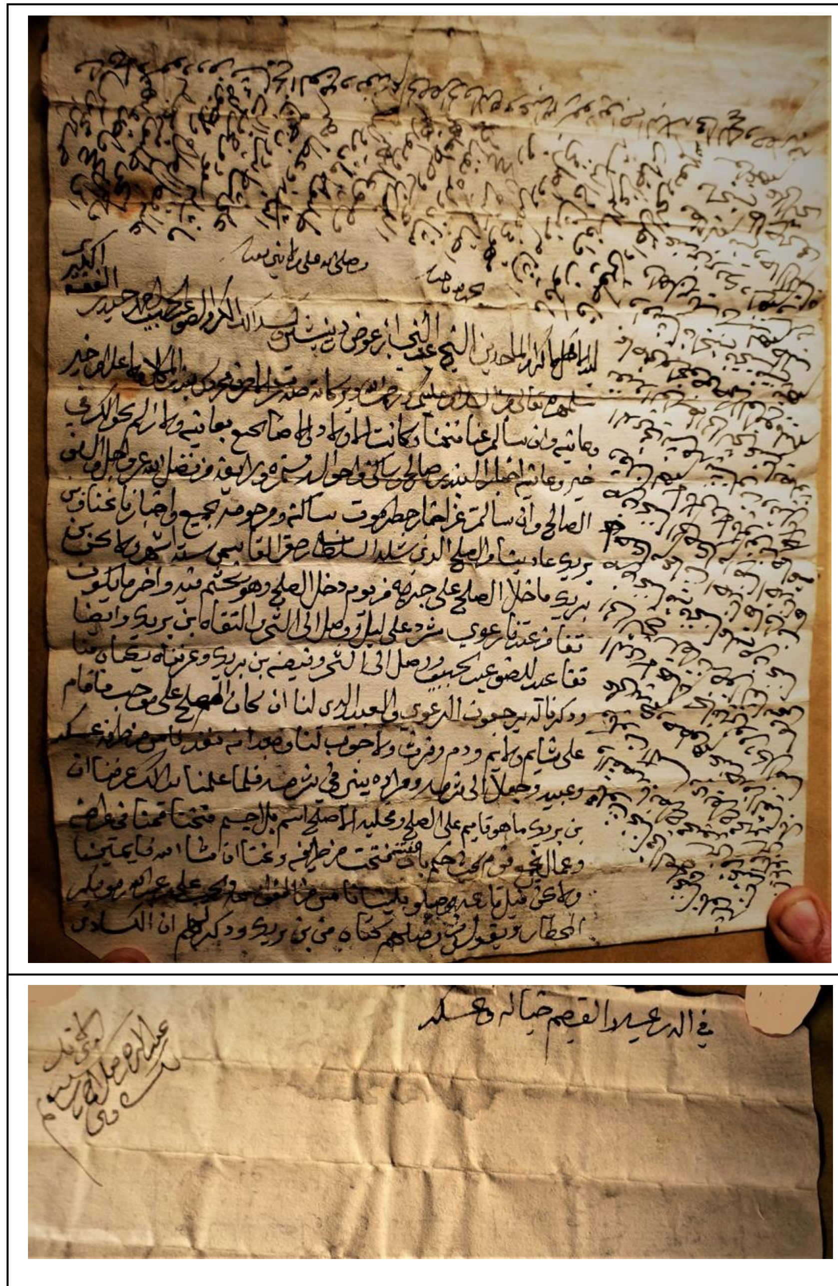
من الواثق بالله عبدالحبيب بن صلاح بن سالم الكسادي إلى الأخ في دين الله عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري حماه الله من الآفات واستعملنا وأياه بالباقيات الصالحات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأحرف من محروس بندر المكلا والاعلام سارة، أخبار المسلمين قدها عندكم نصرهم على عداهم وجعلهم الظاهرين، كما قال ﷺ "لم تزل طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم لحتى يلاقوا سيخ الدجال"[١]، فحصل بين المسلمين والترك وقايع كثيرة في تربة وقعت جملة وقايع وكل وقعة والله تعالى ينصر المسلمين وكذلك وقعت لقيّة في القنفذة وحصلت كسيرة كبيرة في الترك، وبعدها وقعت لقيّة في الطائف وحصلت كسيرة في الترك، الحاصل أنهم وصلوا قدر أربعين ألف واليوم معاد إلاّ قدر أربعة آلاف، هذا ما صحت عندنا من أخبار المسلمين والترك، وأنت يا أخي ان كان تعصّب رجال ومرادهم الجهاد في سبيل الله للثواب والأجر والغنيمة يكون وصولكم إلينا أنت ومن معكم وبانطلع البحر نجاهد على كل من خالف الله ورسوله، وقال ﷺ:" غزوة واحدة في البحر أفضل من عشر غزوات في البر، وان من فاته الغزو مع رسول الله ﷺ فليغزي البحر"[٢]، وأنت إن كان وفقك الله لذلك تصل بناس موحدين لله وكل من يحب الإسلام، ولا يكون تصلون لطلب الدنيا، ومن يؤثر الدنيا على الآخرة فأنها دار زوال والآخرة دار قرار، فالمراد يا أخي طاعة الله والاستعداد لدار القرار، وعند ذلك ما يخيّب الله من قصده على هذا الوجه المشروع وتجيه الدنيا صاغرة راغمة، وان قد حصلت حد مثل الوحيري أو بن عمر علي أو غيرهم من يحب الله وكتب له الأجر والغنيمة تصل ولو خمسمئة من المسلمين الذين يريدون وجه الله، ونحن ان شاء الله علينا الزاد والزانة والخشب ورجال البحر وجميع آلت البحر والله ناصر جنده.وصدر كتاب للولد طاهر ولا شرحنا له ما شرحناه لك وأنت ان قد عزمت تصل به معك ويكون تصل برجال الذي توفي كلمة الله ويخافون من عقابه ويعرفون الحق من الباطل ويتبعون الحق ويتركون الباطل وجند الله منصور، والجواب سريع بما ترجَّح عندك، وما دار في نظرك والسلام.

[١] - نص الحديث كما جاء في مسند أحمد:" " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ".

[٢] - لم يرد الحديث بذلك النص، بل أن الصحيح قوله ﷺ: غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ أَفْضَلُ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ ، مَنْ جَازَ الْبَحْرَ غَازِيًا فَكَأَنَّمَا جَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا.



الوثيقة رقم (٢٢)

نص الوثيقة رقم (٢٢)

الحمد لله وحده وصلى الله على محمد الأمين آمين

لبد الأكرام الماجدين: الشيخ عبدالنبي بن عوض دينيش وكذلك الأكرم الصنو عبدالحبيب أحمد حيدر الفقيه البكري سلمّهم تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صدرت الأحرف من محروس بندر المكلا والأعلام خير وعافية. وإن سألتم عنا فنحن وكافة الأولاد والأصناء الجميع بعافية (والازلم؟) كذلك في خير وعافية. أخبار البندر صالح وساكن، وأحواله مستمرة ولائقة من فضل الله عزّ وجلّ والسّلف الصالح. وإن سألتم عن أخبار حضرموت ساكنة ومرحومة الجميع. وأخبارنا نحن وبن بريك عاد بيننا من الصلح الذي شلّه السلطان صقر القاسمي ستة أشهر، ولكن بن بريك ما خلّا الصلح على جريه من يوم دخل الصلح وهو يحشّم فيه، وآخر ما يكون قَفَّا من عندنا رعوي شرد على ليل ووصل إلى الشحر والتقاه بن بريك وأيضاً قَفَّا عبد للصنو عبدالحبيب ووصل إلى الشحر وقبضه بن بريك وعرفناه يكون منا، وذكرنا له يرجعون الرعوي والعبد الذي لنا إن كان الصلح على موجب ما قام على شايم ولايم ودم وفرث، ولا جوَّب لنا. وبعد أنه نفّذ ناس من طَرَفه عسكر وعبيد وجمال إلى شرمة ومراده يبني في شرمة، فلما علمنا بذلك عرفنا أن بن بريك ما هو قائم على الصُلح، ومخَلِّيه إلاّ صلح اسم بلا جسم، ونحن قمنا في عراضه وعمال نجمع قوم، لحيث حَكَم بأن الفتنة فتحت من طَرَفه، ونحن إن شاء الله قائمين، ولكن قبل ما يكونون وصلوا إلينا من طرف القواسمة والحبيب علي عبدالله بن ابوبكر المحضار ويقولون وصلهم كتاب من بن بريك وذكر لهم أن الكسادي تلوّث نحنا في الصلح ونحنا نلوثه، والقصد با نطرح محبوسين من عندنا ويكون الكسادي يطرح محبوسين ويكونون على يدكم، وحُطُّوهم عند حد من القبائل الذي لا يهاب الجانبين ومرد كلامنا إلى الشيخ سلطان بن صقر القاسمي، وما صرف نحنا فيه، فنحنا عليه، صَرف نحنا لحكام عُمان أخذناها، وإن صرفنا إلى حُكَّام أرض أخذناها. وقلنا لهم لا بأس ولا يكونون جماعته الذي في شرمة وقبل بأن تقدم الواسطة إلى الشحر عندما يصلون بما صفي والخوض حسب الواقع ملبيكم، ومن شان الجنبية فتحت فتنة بينهم وأهل بريك والسبب لهم طلب عند بن بريك دراهم وسكر ومظاليم منه، وحال الكتاب والجنبية طارحين في سواغهم على الشحر قاطعين داخل البحر ويعلم الله ما يكون وان سألتم عن أخبار الشام من شان الباشا فهو واصل في أخبار كثرة للحج ومن شان ولده نفذ إلى الدرعية وحط عليها وضيّق عليهم، وبعد هم طلبوا الأمان ووالده الباشا أعطاهم على شرط يردون جميع ما شلّه سعود من حجرة النبي عليه أفضل السلام ولا جَبَو له، ولكن طلبوا منه مهلة إلى الحج وأخذ عليهم خمسين محبوس من أولاد سعود ومن مشايخ العرب ونفذ بهم إلى مصر إلى والده وعبدالله بن سعود يواجه الباشا في الحج وحط رُتبة في الدرعية والقصيم خياله وعسكر.

المرسل عبدالرب صلاح سالم الكسادي



بسم الله الرحمن الرحيم

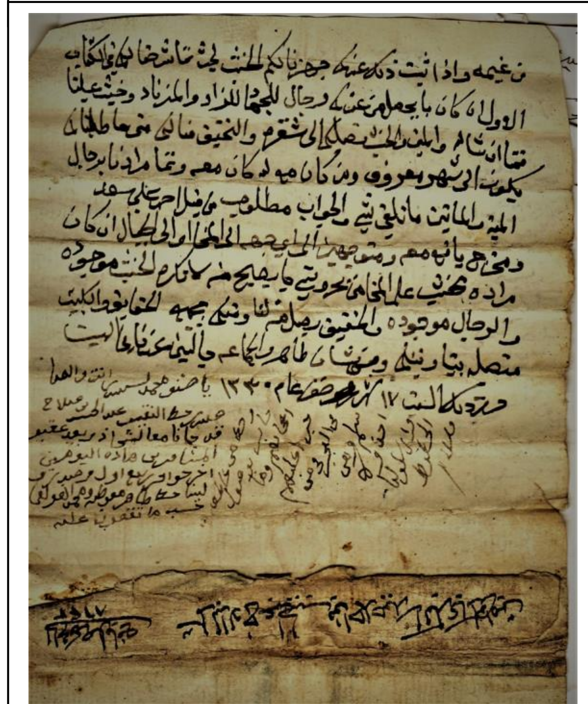
من [illegible]

الى حضرة الجناب العزيز [illegible] ابن احمد حيدرة البكري [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته [illegible]

[illegible]

حصلت لنا [illegible] التحقيق [illegible]



[illegible] واذا [illegible]

[illegible] الزاد والمزاد [illegible]

[illegible] والتحقيق [illegible]

[illegible] الجواب مطلوب [illegible]

[illegible] عام ١٢٣٠ [illegible]

الوثيقة رقم (٢٣)

نص الوثيقة رقم (٢٣)

من عبدالحبيب بن صلاح بن سالم بن حمد بن محجم الكسادي

إلى حضرة الجناب العزيز عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري، حماه الله تعالى آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صدرت الأحرف من بندر المكلا ونحن وكافة الأصناء والأولاد جميعاً بعافيه أرجو الله الكريم رب العالمين أن تكونوا كذلك في خير ولطف وعافية، أخبار البندر رايق، وأسعار مبايعه موجب ما يبلغكم، وبعد ذلك كتابك العزيز وصل وعرفنا ما شرحت وتذكر وصول كتابنا وتذكر أنك صدرت لنا الجواب مع عبدالله غرامة واعتمدنا عليه، بعد ذلك وصلوا الأولاد ووصل الكتاب تذكر إن كان لنا همّة بالوصول إنكم با تصلونا اليوم فلا لنا همّة ولا تصلون إلا متى حصلت لنا همّة ترى التحقيق با يصلكم.

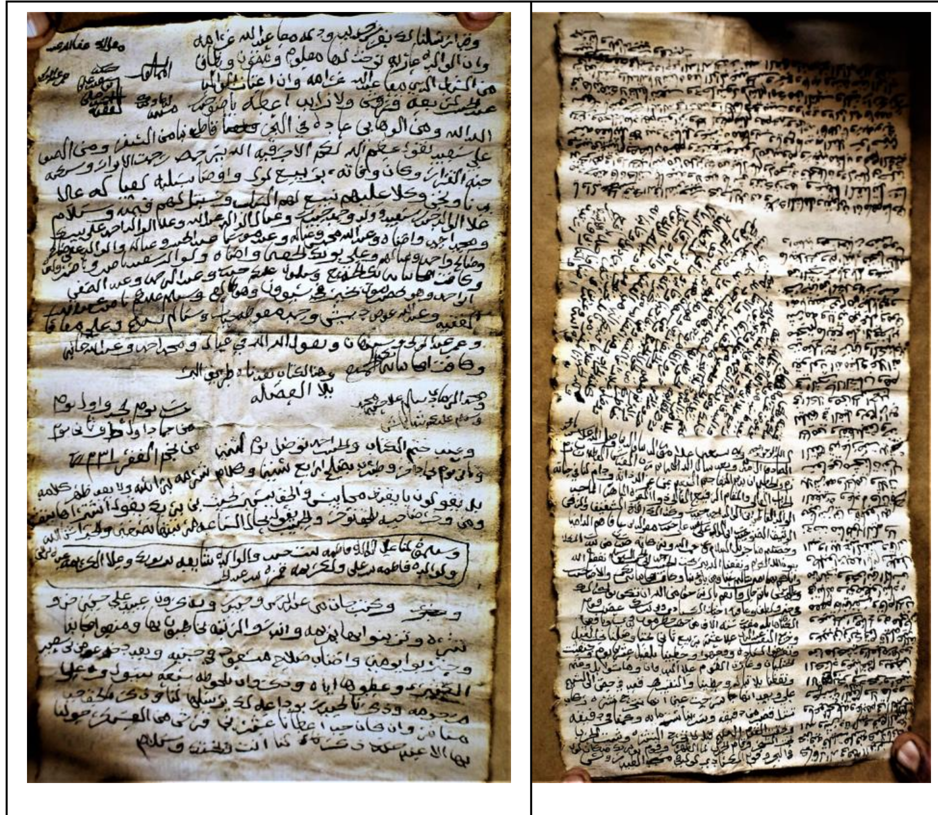
أخبار الشام رايقة والمسلمين في زود ومن قبل هزاع وصل من رأس الخيمة وجلس في الباب وخذ مقدر ثلاث أو أربع (خيش) حال ومال ونفذ إلى الجزر بين اللحية وجيزان وخذ حدعشر ساعية شاحنة فلوس وبن ورقيق وذهب وغير ذلك.

وأخبار عمان سعيد بن سلطان عاهد الإمام عبدالله بن سعود رسَّل له مطاوعة ونقلهم وقام بالأمر والمعروف ونحنا إن شاء الله مرادنا أن تقومون دين الله بقدر طاقتكم وترغبون في الأجر وتكونون أنصار لله بنصر دين الإسلام وتحصل الغنائم إن شاء الله، ونحنا إن شاء الله إذا ثبت الجهاد با نرسل لكم بالذي يشلكم إلى الساحل والخشب إن شاء الله تحصل وتحصل الغنايم والخير وأما جهاد بالفلوس ما يصح لأن المجاهد إلا ما حصله من غنيمة وإذا ثبت ذلك عندكم جهزنا لكم الخشب لحيث نحنا شرحنا لكم في الكتاب الأول إن كان با يحصل من عندكم رجال للجهاد للزاد والمزناد وخيش علينا نحنا إن شاء الله واصلين والخشب باتصلكم إلى شقرة والتحقيق منا لكم متى ما طلبناكم يكون إلى شهر معروف ومن كان مع الله كان معه ونحنا مرادنا برجال المئة والمئتين ما تلقي شيء، والجواب مطلوب من قبل أحمد علي سعد ومخرج يافع معه ومتوجهين إلى أي جهة إلى المخا أو إلى الجبال إن كان مراده بخشب على المخا من بحر وشي با يصبح منه لا نكره الخشب موجودة والرجال موجودة والحقيق يصل منه لنا ومنكم بجميع الحقايق والكتب متصلة بيننا وبينكم، ومن شان طاهر والجماعة جالسين عندنا في البيت.

حرر ذلك السبت ١٧ شهر صفر عام ١٢٣٠هـ

وفي نهاية الرسالة كُتب تعقيب عليها بخط آخر ما يلي:

يا صنو محمد السنيدي أنت والأصناء صدر خط النقيب عبدالحبيب بن صلاح قد جانا مع الشحاذ وبعد عقبوا المسافرين هذه اليومين خرجوا آخر ربيع وصدروا إلينا خط طاهر معوضة ومحمد العولقي حسبما تقفون عليه وخط من عاطف جابر بوصول أصحابهم وما جرى عليهم في البحر ومن سلم ومن أخذوه وأرسلوا لنا الخطوط والسلام.



الوثيقة رقم (٢٤)

أهم ما جاء فيها:"ومن الوهابي عاده في البحر قاطع بنا من السفر. وهذا الكتاب نفذناه طريق البر إلى العصلة"

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

(١) رسالة من ناجي بن مُحَمَّد بن قملا إلى عامر بن مُنيف، وعبدالله بن سلطان، وأحمد ابن بشير، وكافّة روضان، وحسن بن كثيرٍ، وسلمان بن سعيد، وسعيد بن نهيد، وعامر بن سلمان، وحسن بن عبِرِيّ، وحويل بن سعيد، وكافّة المقاديم، وعُمر بن علي بلبقَرِي، وكافَّة نَهد.

(٢) رسالة من خشامر من ناجي ابن مُحَمَّد ابن جابر بن قملا إلى السلطان جعفر بن محسن ومُحَمَّد بن محسن والشيخ غالب بن عبدالله وصالح وعبدالحبيب بن أحمد حيدر وكافة رُتبة سيئون الشيخ علي والضُبَيّ وبني بكر.

(٣) رسالة من خشامر من ناجي بن مُحَمَّد بن قملا إلى جعفر بن مُحَمَّد وعن جعفر وغالب وعبدالله بن الشيخ علي وكافة رُتبة سيئون.

(٤) رسالة من خشامر من ناجي مُحَمَّد بن قملا وعبدالحبيب قاسم بن علي جابر إلى السلطان جعفر بن محسن وغالب بن عبدالله هرهرة وعبدالله أحمد حيدر عزالدين، وإلى كافة رُتبة سيئون.

(٥) رسالة من لحج، من عبدالحبيب بن صالح حسين الشعموطي، محررة سلخ شهر الحجة سنة ١٢٢٤هجرية أرسلها إلى بني بكر إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر.

(٦) رسالة من عبدالله أحمد حيدر وعبدالحبيب بن صالح مُحَمَّد من بلد سيئون إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر وآخر (تلف في الاسم)، محررة نصف شعبان١٢٢٥هـ.

(٧) رسالة من علي سعيد ناصر من سيئون، إلى عبدالحبيب أحمد حيدر عزالدين ووالده سعيد ناصر وأخيه سنة ١٢٢٦هـ.

(٨) رسالة من سيئون من عبدالله بن أحمد حيدر البكري من سيئون إلى أخيه الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر.

(٩) رسالة من المكلا، من النقيب عبدالحبيب ابن صلاح ابن سالم بن احمد بن محجم الكسادي من عاصمة الدولة الكسادية إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري، محررة يوم الأحد ١٢ من شهر رجب الأحب سنة ١٢٢٨هـ.

(١٠) رسالة من عبدالله بن يحيى حسين هرهرة مرسلة، من بندر الشحر، إلى الولد علي بن ناصر بن يحيى بن ناصر هرهرة، والصنو عبدالحبيب بن الوالد أحمد بن حيدر السنيدي.

(١١) رسالة من مطهر بن أبوبكر هرهرة، من بندر المكلا، إلى القاضي عبدالحبيب بن احمد حيدر.

(١٢) رسالة من بندر المكلا، من علي بن ناصر بن يحيى بن الشيخ علي هرهرة والفقيه عبدالحبيب ابن أحمد حيدر إلى الحبيب شيخ بن عبدالله بن أحمد آل الشيخ أبي بكر بن سالم والسلطان عبدالله بن يحيى بن حسين ابن الشيخ علي هرهرة.

(١٣) رسالة من غالب بن عبدالله بن صالح يحيى هرهرة، من الشحر، إلى بني بكر، إلى الفقيه عبدالحبيب أحمد حيدر وعبدالحبيب حسين الشرفي وعبدموسى علي سنيد.

(١٤) رسالة من منصب عِيْنَات أحمد بن سالم بن أحمد مرسلة إلى بندر المكلا إلى المشايخ: على بن الشيخ ناصر يحيى، وطاهر بن الشيخ عمر، وصالح بن الشيخ محسن بن الشيخ علي هرهرة والفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر وسالم بن عوض السا....، وهادي شجاع وصالح دينيش وبوبكر الحطيبي وحسين أحمد وكافة يافع بالمكلا.

(١٥) رسالة من الشحر، من عبدالقوي بن صالح علي ناجي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر عزالدين، والشيخ علي عوض دينيش.

(١٦) رسالة من المكلا، من عبدالرب صلاح بن سالم أحمد الكسادي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري

(١٧) رسالة من المكلا، من عبدالمطلوب بن سالم إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري

(١٨) رسالة بتوقيع مع الختم إلى عبدالحبيب بن أحمد حيدر بن عزالدين

(١٩) رسالة من المكلا، من عبدالرب صلاح بن سالم أحمد الكسادي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري، سنة ١٢٢٨هـ

(٢٠) رسالة من عبدالله بوبك صالح إلى القاضي عبدالحبيب بن أحمد حيدر عزالدين

(٢١) رسالة من المكلا، من عبدالحبيب بن صلاح بن سالم بن احمد بن محجم الكسادي إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري

(٢٢) رسالة من المكلا، من عبدالرب صلاح بن سالم أحمد الكسادي إلى الشيخ عبدالنبي بن عوض دينيش والفقيه عبدالحبيب أحمد حيدر البكري.

(٢٣) رسالة من المكلا، من عبدالحبيب بن صلاح بن سالم بن حمد بن محجم الكسادي إلى عبدالحبيب بن أحمد حيدر البكري

(٢٤) رسالة من الفقيه أحمد علي بن سعيد علي عمر عزالدين إلى الوالد أحمد حيدر والصنو حيدر بن علي سعيد علي حيدر عز الدين

ثانياً: المصادر والمراجع

(٢٥) الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية(١٢٣٨-١٣٠٩هـ/١٨٢٣-١٨٩١م)، أ.د.مُحَمَّد بن عبدالله السلمان، ط٢، ١٩٩٩م

(٢٦) أضرحة حضرموت المقدسة، أبو سعد النشوندلي

(٢٧) إمارة آل بن بريك في الشحر(١١٦٥-١٢٨٣هـ/١٧٥١-١٨٦٦م)،خالد حسن الجوهي، دار الوفاق- عدن، ط١، ٢٠١٠م.

(٢٨) الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف حضرموت، عوض مبارك سليمان بامؤمن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠م.

(٢٩) بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مخطوط

(٣٠) تاريخ الدولة الكثيرية، مُحَمَّد بن هاشم، تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢م

(٣١) تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تأليف الشيخ العلامة سالم بن مُحَمَّد بن سالم ابن حميد الكندي (توفي ١٣١٠هـ)، تحقيق: عبدالله مُحَمَّد الحبشي،مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م

(٣٢) تاريخ العربية السعودية، فاسيلييف، ترجمة: خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م

(٣٣) تاريخ الشعراء الحضرميين، مطبعة حجازي، القاهرة

(٣٤) حضرموت وعلاقتها بنجد، عبدالله أحمد الناخبي، مجلة العرب، تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ج٥،٦ س ٢٧، (مايو-يونيو١٩٩٢م)

(٣٥) السعودية الدولة والمجتمع- محددات تكوين الكيان السعودي، د.مُحَمَّد بن صنيتان، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م

(٣٦) الشتات الحضرمي- تجار، علماء، ورجال دولة حضارم في المحيط الهندي ١٧٥٠- ١٩٦٠م. ترجمة:د.عبدالله عبدالرحمن الكاف. مراجعة:د.عبدالمطلب أحمد جبر. تحرير: ألريكي فرايتاك، وليم كلارنس سميث. تريم للدراسات والنشر.

(٣٧) صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت، محاضرة للعلامة المؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه، وتعليقات موسوعية: للعلامة المؤرخ علوي بن طاهر الحداد، تحقيق وتقديم: مصطفى بن عبدالرحمن بن عبدالله العطاس، دار تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م

(٣٨) "الصراع الكسادي-البريكي في وثائق تاريخية تُنْشَر لأوّل مَرّة" أ. د.علي صالح الخلاقي. بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الرابع "التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي" الذي نظمه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يوم ١٩ديسمبر٢٠١٩م في المكلا- حضرموت.

(٣٩) عادات وتقاليد حضرموت الغربية، م.أ. رودينوف، ترجمة:د.علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٢م

(٤٠) عبدالله القصيمي التمرد على السلفية، يورغن فازلا، ترجمة: مُحَمَّد كبيبو

(٤١) على حافة امبراطورية- حضرموت، الهجرة والمحيط الهندي (١٨٨٠-١٩٣٠). تأليف: د.ليندا بوكسبيرجر، ترجمة:أ.مصطفى زين العيدروس، مراجعة وتقديم:د.عبدالله عبدالرحمن بكير. ط١، ٢٠١٩م، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، صنعاء

(٤٢) في جنوب الجزيرة العربية، صلاح البكري، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده-مصر، ط١، ١٩٤٩م

(٤٣) القبورية في اليمن، أحمد بن حسن المعلم

(٤٤) قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط١، ٢٠٠٢م

(٤٥) المختصر في تاريخ حضرموت، مُحَمَّد عبدالقادر بامطرف، دار حضرموت للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠١م

(٤٦) معجم القبائل والبلدان اليمنية، إبراهيم أحمد المقحفي، دار الكلمة، صنعاء،٢٠٠٢م

(٤٧) معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت. السيد عبدالرحمن بن عُبيد الله السقاف، تحقيق:إبراهيم أحمد المقحفي، عبدالرحمن حسن السقاف، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م

(٤٨) ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت، تأليف:مُحَمَّد عبدالقادر بامطرف، تحقيق ومراجعة: د.حسن صالح الغلام العمودي، دار حضرموت للدراسات والنشر، ط٢، ٢٠١١م.

(٤٩) الموسوعة اليافعية- يافع في حضرموت، تأليف طارق بن سالم سعد الموسطي وآخرون، المجلد الثامن، الجزء(١٢)، دار الوفاق، ط١/ ٢٠١٥م

(٥٠) نشر النفحات المسكية في أخبار الشِّحْر المحمية، عبدالله بن مُحَمَّد باحسن، تحقيق مُحَمَّد عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٠م

المحتويات

المؤلف في سطور

- الاسم: علي صالح عبدالرب يحيى بن سكران الخلاقي
- من مواليد عام ١٩٥٦. يافع ، محافظة لحج .
- أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة عدن، كاتب وباحث ومترجم، نشرت له عدد من الدراسات في المجلات والندوات العلمية. وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في الداخل والخارج.
- حاصل على شهادة الماجستير في الصحافة الدولية ، موسكو، ١٩٩٢م. بامتياز
- حاصل على شهادة الدكتوراة في التاريخ، موسكو، ١٩٩٦م. بامتياز
- حاصل على دبلوم في الترجمة عن الروسية ١٩٩٦م
- نائب رئيس مركز دعم صناعة القرار للمجلس الانتقالي الجنوبي منذ تأسيسه.
- مدير دائرة الإعلام في مركز عدن للبحوث والدراسات التاريخية والنشر، وعضو في هيئة تحرير مجلة (دراسات تاريخية) الصادرة عن المركز.
- عضو في هيئة تحرير (مجلة كليات التربية)جامعة عدن.
- مارس العمل الصحفي والإعلامي منذ ثمانينات القرن الماضي، وفي تقديم برامج إذاعية وتلفزيونية، أشهرها برنامج (جيش الشعب) الإذاعي والتلفزيوني ، وشغل سكرتير تحرير (مجلة الجندي) و(صحيفة الراية) وكان سكرتيرا للجنة الصحفية في المجلة والصحيفة، وشارك ممثلا لمنظمة الصحفيين في المؤتمر الدولي للصحفيين المنعقد عام ١٩٨٤م في بيونغ يانغ عاصمة(كوريا الشمالية).
- تبوأ مهمة سكرتير الدائرة التنظيمية لمنظمة الطلائع في سكرتارية اللجنة المركزية لاتحاد الشباب ١٩٧٨، ورأس وفد منظمة الطلائع إلى معسكر صيفي لمدة شهر في العراق الشقيق صيف ١٩٧٨م
- انتقل من الجيش إلى جامعة عدن عام ١٩٩٩م ، استاذاً للتاريخ، في كلية التربية يافع، وتحمل مسئولية رئيس قسم الاجتماعات فور تعيينه ، ثم شغل وظيفة نائب عميد كلية التربية – يافع ، للشئون الأكاديمية.
- حصل على العديد من التكريمات والشهادات التقديرية، منها وسام الاخلاص من قبل الرئيس علي ناصر محمد عام ١٩٨٤م.

صدر له:

١ - الشائع من أمثال يافع. الطبعة الأولى. دار جامعة عدن للطباعة والنشر ٢٠٠٢م.
٢ - عادات وتقاليد الزواج وأغانيه في يافع. ٢٠٠٦م.
٣ - "شل العجب.. شل الدّان" ديوان يحيى عمر اليافعي وسيرة حياته، ٢٠٠٦م،
٤ - شاعر الحكمة صالح سند "خير من نشد"،٢٠٠٦م.
٥ - فراسة شاعر ساجل نفسه –حقيقة ما دار بين الخالدي والقيفي من أشعار، ٢٠٠٦م.
٦ - الشيخ أحمد أبوبكر النقيب.. حياته واستشهاده في وثائق وأشعار، ٢٠٠٧م.
٧ - أحمد محمد حاجب –مناضل من صفوف الشعب، ٢٠٠٨م.
٨ - "أعلام الشعر الشعبي في يافع، مركز عبادي ٢٠٠٩م.

٩ - الحكيم الفلاح الحميد بن منصور - شخصيته وأقواله. طبعة ثانية، ٢٠١١م
١٠ - مُعجم لهجة وتراث سرو حِمْيَر – يافع، وشذرات من تراثها. الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
١١ - فنون العمارة الحجرية في يافع، دار جامعة عدن ، ٢٠١٤م
١٢ - قبائل عربية جنوبية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ٢٠١٩م.
١٣ - الأسلحة التقليدية في الشعر الشعبي اليمني، ٢٠٢٠م.
١٤ - معجم الأسلاف والأعراف القبلية في بلاد يافع، ٢٠٢٠م
١٥ - المعتقدات الشعبية في بلاد يافع، ٢٠٢٠م
١٦ - حملة بن قملا الوهابية على حضرموت (القرن١٣هـ/١٩م) ٢٠٢١م

ترجم عن اللغة الروسية:

١٧ - سقطرى..هناك حيث بُعثت العنقاء. تأليف: فيتالي ناؤمكين، ترجمة: د.علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.
١٨ - عادات وتقاليد حضرموت الغربية. تأليف: ميخائيل روديونوف، ترجمة: د.علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ٢٠٠٢م.
١٩ - السقطريون...دراسات إثنوغرافية –تاريخية، تأليف: فيتالي ناؤمكين، ترجمة: د.علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ٢٠١٤م.

جمع وقدم الأعمال التالية:

"محاصيل القدر" للشاعر الشعبي يحيى الفردي ٢٠٠٣م ، "مساجلات الصنبحي والخالدي" ٢٠٠٥م ، "المزن الماطر" للشاعر عبدالله عمر المطري ٢٠٠٦م، "دستور الهوى والفن" غزليات شائف محمد الخالدي ٢٠٠٧م ، "سالم علي قال" للشاعر سالم علي المحبوش ٢٠٠٧م، "يقول بن ناصر مجمل" للشاعر محمد ناصر بن مجمل٢٠٠٧م ، "مساجلات الكهالي والخالدي" ٢٠٠٨م ، "النبع المتفجر" للشاعر يحيى الفردي٢٠٠٨م ، "الصراحة راحة" للشاعر محمد سالم الكهالي ٢٠٠٨م ، "زوامل شعبية" للشاعر شائف الخالدي ٢٠٠٨م ، "السير المتعرج" للشاعر محمد أحمد الدهبوش ، "شاعر يواجه أكثر من مائة شاعر"، مركز عبادي ٢٠٠٩م ، "غزير المعاني" للشاعر أمين الكلدي٢٠٠٩م ، "المرفأ المهجور" للشاعر محمد عبدالله بن شيهون٢٠١٠م، "وصية مضيَّع" للشاعر حسين عبدالرب بن دينيش القعيطي ٢٠١١م ، "مواجهات ساخنة مع عشرات الشعراء" للشاعر محمد سالم الكهالي، ٢٠١١م ، شاعر الحماسة والفخر، الشيخ راجح هيثم بن سبعة ٢٠١٢م، أروع ما قيل في المساجلات القبلية بين الشاعرين عبدالقوي أحمد السعدي وعلي محمد بن شيخان ٢٠١٣م،. خالديات الشاعر شائف محمد الخالدي (قصائد وزوامل)، ٢٠١٤م، "عفواً على الإزعاج" للشاعر خالد محمد القعيطي، ٢٠١٥م، "عمران الفدائي والإنسان" ذكريات المناضل صالح فاضل الصلاحي ٢٠١٥م، "ذكريات النضال والعمل الوطني" للمناضل يوسف عبدالله سعد القعيطي، ٢٠١٦م، الفَارسُ المِقْدَام ، الشهيد اللواء الركن محمد صالح طماح، ٢٠١٨م، الشهيد القائد منير محمود اليافعي "أبو اليمامة - أسد الجنوب.. قاهر الإرهاب، ٢٠١٩م، تاج القوافي، قصائد ومساجلات وزوامل للشاعر الشعبي يحيى محمد الفردي، ٢٠٢٠م، بواكير مساجلات الشاعر شائف الخالدي(١٩٥٠ -١٩٧٠)، ٢٠٢٠م.

من إصدارات د.علي صالح الخلاقي





حملة بن قَمْلا الوَهّابية على حضرموت

د.علي صالح الخلاقي

- تكمن أهمية الكتاب في اعتماده على وثائق تنشر لأول مرة، وهو بهذا يقدم مادة أصيلة عن هذه الحملات التي عصفت بحضرموت في بداية القرن الثالث عشر الهجري.
- إن العنوان (حملة بن قملا) يتماهى مع المسمى لهذه الحملات في المؤلفات الحضرمية، وهو أكثر دقة من مصطلح الغزو أو الاجتياح والحملات (الوهابية)؛ بوصفها حركة إسلامية تصحيحية، امتزجت فيها التطلعات السياسية مع مشروع الإصلاح الديني.
- بالنسبة لحملة بن قملا على حضرموت كان الهدف الديني الإصلاحي هو العنوان الرئيس لها، ولم تكن حضرموت ضمن التطلعات السعودية السياسية قريبة المدى وفي دواخل الكتاب وضّح المؤلف البعد الاقتصادي لهذه الحملات، ليس فقط من خلال الأموال التي فرضوها ليرتفعوا عن بعض المناطق التي دخلوها عنوة، بل من خلال التشكيل القبلي اليمني لهذه الحملات، والذين وجدوا في الموجة الإصلاحية العاتية في شرق الجزيرة العربية فرصة للرزق تحت غطاء هذا الخطاب الديني الحاد، الذي قسم المؤمنين إلى مسلمين ومشركين، ومع ما يتسم به هذا الطرح من غلو، فإنّ الحضارمة ركنوا في غالب الأحيان إلى الأسلوب المرن في التعامل معهم ومع ما يقومون به من تهديم للقبور والقباب مما أتاح لهم فرصة للانتظار حتى تهدأ العاصفة.
- بنهاية الحملات الوهابية على حضرموت عادت الأمور فيها إلى سيرتها الأولى، لكنها أحدثت صدمة في ثوابت المجتمع الحضرمي، ترحلت صداها في الثقافة المحلية والشفاهية، وصار (بن قملا) يرمز فيها للغزاة والطامعين، ثم استقرت بعض خبايا القصة في دواخل الوثائق وطيّاتها إلى أن جاءت (حملة الخلاقي) التاريخية العلمية فأعاد إحياءها في ثوب جديد لنستلهم منها الحكمة وتدلنا على جادة الطريق.
- مؤلّف الكتاب البروفيسور علي صالح الخلاقي غنيّ عن التعريف، وله عشرات المؤلفات التاريخية الرصينة، وخاصة ما يتعلق بالتراث اليافعي، وعلى صعيد العلاقة الشخصية البينية، وفي بعض محاولاته الشعرية يظهر محبته لحضرموت وأهلها، ويبدو أن هذا الشعور الصادق كان حافزًا ليُعِدّ عُدّته ويجهز حملته العلمية ويتحفنا بهذا الكتاب الوثائقي، الذي جرت أحداثه في حضرموت، واحتفظت يافع بأسرارها لحين من الدهر، وها هو يبوح ببعضها، ويبقى أن نستمع إليه، ونشد الرحال معه.

أ.د. عبدالله الجعيدي